الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف - ميلة -

المعهد:الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

الميدان:اللغة والأدب العربي

الأبعاد التداولية في كتاب "البيان والتبيين" للجاحظ

مذكرة معدة إستكمالا لمتطلبات نيل شهادة الماستر

الشعبة: لغة عربية **التخصص:**علوم اللسان العربي

إعداد الطالب:
- كمال بن علية

إشراف الأستاذ:
- سليم مزهود

* ***السنة الجامعية*:2014-2015** *

بسم الله الرحمن الرحيم

التشكرات

الحمد لله رب العالمين خالق السماوات والأرض،نحمده سبحانه ونستعين به

هو الرحمن الرحيم،ونشهد أن محمدا-صلى الله عليه وسلم-عبده ورسوله.

بداية نتوجه بالشكر والحمد الجزيل إلى المولى سبحانه عز وجل الذي أنعم علينا بهذا،

وأعاننا على إنجاز هذا البحث ووفقنا فيه،إليه يرجع الفضل كله.

بجزيل شكرنا نتقدم بالشكر لمن كان له فضل كبير في إخراج هذا الجهد للوجـــــــود...

لمن كانت إرشاداته القيمة وتوجيهاته السديدة إشارة إلى التشمير على سواعد الجد....

إلى الأستاذ الفاضل والغالي**"سليم مزهود"**.

كما لا ننسى أن نشكر عبر هذه المناسبة بعض الأساتذة على مساعدتهم و توجيهاتهم وإلى كل من مد يد العون والمساعدة ولو بالكلمة.

إلى كل الساهرين على معهد الآداب واللغة العربية بالمركز الجامعي-ميلة- في سبيل التحصيل العلمي والتكوين المؤطر خدمة للوطن.

وفي الأخير نسأل الله أن يبارك هذا العمل ويجعله خيرا للبحث العلمي، ونسأل الله أن يوفقنا إلى ما يحبه ويرضاه.

الطالب:**كمال بن علية.**

الإهـــــــــداء

الحمد لله رب العالمين وما التوفيق إلا من الرب المعين

إلى من بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة إلى نبي الرحمة ونور العالمين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

أهدي ثمرة جهدي إلى:

التي كتبت اسمي على حدقات عيونها، وشاركتني أجمل لحظات حياتي، وبكت لآلامي حزنا، إلى التي رافقتني بدعائها لتضيء دربي، إلى أحلى كلمة على لسان البشر، النبع الصافي والحضن الدافئ **"أمي الحبيبة"**

إلى الذي علمني كيف أجتاز الصعاب وأتخطى العقبات، إلى من كلله الله بالهبة والوقار

إلى من علمني العطاء دون انتظار، إلى من أحمل اسمه بكل افتخار

"أبي الغالي العزيز"

إلي من تربطني بهم أجمل المشاعر وأصدق العواطف وتحلو الحياة بوجودهم إخوتي وأخواتي: جمال، عبد الرزاق، رشيد، رفيق، أحمد، سميرة، وهيبة، فتيحة.

إلى جميع الأهل والأقارب، إلى جميع أصدقاء ولاية ميلة أخص بالذكر مصلحة النشاطات للإقامة الجامعية 1000 سرير على رأسهم أختي وعزيزتي أحلام مسؤولة النشطات، ليندة، نصيرة، أمال، سارة، سمير، سامي، حسان وبالأخص عبد القادر، ياسر، مجيب، ياسين، عبد الجبار، مروان، حسام، بوبكر، كمال، حمزة، فؤاد، أمين.

إلى كل من أحبهم القلب ولم يذكرهم اللسان ولم يدونهم القلم.

إلى الأستاذ المحترم والغالي **"سليم مزهود"** الذي لم يبخل علينا بنصائحه وإرشاداته في هذا العمل. إلى كل أساتذة المركز الجامعي-ميلة-وبالخصوص أساتذة **"علوم اللسان العربي."**

الطالب: كمال بن علية

مقدمـــة

مقدمة:

الدراسات اللسانية الحديثة في المجال العلمي المعرفي هي الخطب التي نتج عليه النقد الشكلي والبنيوي والسيميائي وهي ذات قواعد وأسس دقيقة، الأمر الذي نتج عنه النقد الشكلي والبنيوي والسيميائي والدراسات التي إزدهرت بناءً على أفكار "**فرديناند دي سوسير**" الذي اعتبر اللغة نظاما يخضع للدراسات العلمية الدقيقة والشكلية البحتة كما إعتبر دراساتها ذات طابع تداولي لأنها تدرس لذاتها، ولأجل ذاتها.

مما هو معلوم ومتعارف عليه أن بعض العلوم سواء أكانت قديمة أم حديثة، عربية أم غربية لم تنشأ دفعة واحدة، بكل مبادئها وأسسها ومجالاتها بل نشأت عبر مراحل إلي أن وصلت إلي ماهي عليه من النضج والكمال والتداولية حدث لها ما حدث لغيرها من العلوم فقد بدأت نشأتها وولادتها عبر مراحل، غير أن ما يميزها عن غيرها هو الإثراء العلمي المتدفق إليها من النواحي العلمية الأخرى إذ إنها تشكيلة من علوم عديدة.

فظهرت نظريات عربية حديثة وجديدة، تكاثرت علينا، وكان لابد علينا أن نستفيد منها ونستثمرها، ومن بين هذه النظريات الحديثة "**النظرية التداولية**"، أو ما يعرف بـ: "**علم الاستعمال اللغوي**" وسيكون الهدف من هذا المنهج أو هذه النظرية، تسليط الضوء علي جانب ظل معتما في التصور البلاغي الذي وصل إلينا، وهو **الجانب التداولي**.

-ومن أهم الإشكالات المطروحة ما يلي:

-كيف لنا أن نرسل أهمية التداولية من الدراسات الأدبية وماهي أهم الأبعاد التداولية التي اعتمدها "**الجاحظ** "في كتاب "**البيان والتبيين**"؟ وماهي أهم الدراسات البلاغية وعلاقتها بالتداولية؟ وإيمانا منا أن الانطلاق من "**التداولية**" والتي هي مبحث من مباحث الدراسات اللسانية الحديثة يمكن التوصل إلي دراسة أهمية التداولية وأهمية البلاغة التي اعتمدها "**الجاحظ**" في كتاب "**البيان والتبيين**".

أما سبب إختيار الموضوع فلكون التداولية علم جديد للتواصل يدرس الظواهر اللغوية في الإستعمال جعل ميولي وحبي إلى هذا العلم الذي هو بمثابة المولود الجديد، وكذا قلة الدراسات في هذا الموضوع للتسهيل على الباحث الإطلاع والتعرف عليه.

ومن خلال دراسة التداولية والدور المهم الذي تؤديه في الجانب اللساني إستندنا إلى أهم المرتكزات وهي مجموعة من النقاط أهمها:

مقدمة:.....

_ الإنطلاق من مفهوم التداولية وأسباب ظهورها والأسس الفلسفية للمدرسة التداولية.

_ الإنطلاق من فكرة أفعال الكلام عند "**أوستين وسيرل**"، ونظرية المحادثة عند جرايس "**قواعد الفعل الكلامي**"، والأفعال الكلامية عند العرب "**مقاييس التمييز بين الخبر والإنشاء** ".

_ التركيز على أهمية البلاغة بالتداولية، والبلاغة في الثقافة العربية ،وإسهامات "**الجاحظ** "فيها، وأهم العناصر التي تخدم البحث بصفة عامة وإنطلاقا من هذه التصورات والمنهجية تم تقسيم عناصر البحث وفق الخطة الآتية:

الفصل النظري:

تناولنا فيه ماهية التداولية واهم الإسهامات التي قدمتها في المجال العلمي "**اللساني**"، كما تناولنا الحجاج عند "**بيرلمان وتيتكا وتولمين**"، وكذا "**التفاعل والسياق**" إلى جانب "**الملفوظية**"، كما عرجنا إلى علاقة التداولية بالاختصاصات الأخرى.

لنشرع بعدها إلي دراسة البلاغة، وأهميتها، وعلاقتها بالتداولية وإسهامات"**الجاحظ**" فيها، وفي الأخير عرجنا إلى البلاغة في الثقافة العربية لتكون تمهيدا للدخول للفصل التطبيقي.

أما **الفصل التطبيقي** فقد قمنا بدراسة الأفعال الكلامية عند "**الجاحظ** "، ثم تطبيق المنهج الحجاجي علي بعض النصوص في كتاب البيان والتبيين ، ثم قمنا بدراسة النظم ، واللفظ والمعني عند "**الجاحظ** "، وبعدها قمنا بدراسة الأبعاد التداولية لعلم البيان، علم المعاني، وعلم البديع.

اعتمدنا في دراسة الخطة السابقة "**المنهج الوصفي التحليلي**"، برصد مختلف مؤشراته فقد قمنا بوصف أهم العناصر التي يمكن أن تخدم البحث ثم قمنا بتحليلها تحليلا منطقي بحت، مما أمكننا الإجابة عما طرح من إشكالات، وتوضيح البعد التداولي عند" **الجاحظ**" من خلال كتاب "**البيان والتبيين**".

لقد كان السير في ضوء هذا المنهج إلي دراسة "**الأبعاد التداولية للجاحظ**" في كتاب "**البيان والتبيين**" أمر صعب، لأن المسيرة لم تكن تخلو من الصعوبات والعقبات نذكر منها :

مقدمة:.....

_ صعوبة البحث في كتاب "**البيان والتبيين**" لإحتوائه على أربعة أجزاء مما صعب تصفحه كاملا، واستخراج الأبعاد التداولية منه

- صعوبة منهجه
- قلة البحوث القائمة في هذا الباب،
- وكذا ضيق الوقت .

وقد ركزنا في بحثنا هذا علي مجموعة من المصادر والمراجع نذكر منها :

- الجاحظ: البيان والتبيين.
- مسعود صحراوي: التداولية عند علماء العرب.
- خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية.

_ محمود أحمد نحلة: الاتجاه التداولي المعاصر.

_ حمدوش وائل: التداولية دراسة في المنهج ومحاولة في التصنيف.

وفي الأخير نرجو أن نظيف هذا البحث لينة جديدة في الدراسات السابقة الحديثة رغم ذلك فان هذا العمل ما كان ليستوي إلا بمشيئة الله أولا ثم التوجيهات التي كنت أتلقاها من الأستاذ "**سليم مزهود**" الذي أمدني بيدي العون وأعطي لي الكثير من وقته وكل الأساتذة اللذين أمدوني بيد العون سواء من قريب أو بعيد وكل أساتذة "**علوم اللسان العربي لميلة**"، فلهم كل الشكر والعرفان وجعل هذا في ميزان حسناتهم.

الفصل الأول: ماهية التداولية وقضاياها

1- المبحث الأول: التداولية

- ماهية التداولية
- نشأة التداولية
- – أسبا بظهور التداولية
- مفهوم التداولية

2- المبحث الثاني: القضايا التداولية

- من قضايا اللسانيات التداولية
- مهام التداولية
- روافد التداولية
- علاقة التداولية بالاختصاصات الأخرى

3- المبحث الثالث: البلاغة

- مفهوم البلاغة
- أهمية دراسة البلاغة
- علاقة البلاغة بالتداولية
- إسهامات الجاحظ في البلاغة
- البلاغة في الثقافة العربية

المبحث الأول؛ ماهية التداولية:

التداولية مصب إنصباب الكثير من العلوم التي تهتم بالإنسان وفكره اللغوي، كعلم الإجتماع، والفلسفة، وعلم النفس، واللسانيات وغيرها، فهي بهذا جديرة أن تكون أشمل وأعمق في البحث والتفكير في الكثير من العلوم التي سبقتها، وبقيت عاجزة عن تلبية رغبة الباحثين فيها وإجابة أسئلتهم وما حققته التداولية من نجاح رغم حداثة سنها وقرب عهدها من مهدها.

فقد فتحت التداولية حقلا ضخما ضم تخصصات ونظريات وأفكارا مختلفة، ذات مشارب ومستويات متعددة، وقد تداخلت هذه النظريات وإمتزجت بطريقة فوضوية، مما نتج عنها (إشكالات عديدة يصعب حصرها وتنظيمها، وذلك جعل من التداولية كيانا غامضا يسود الإبهام والغموض معظم مصطلحاته ومفاهيمه).

حتى إن بعض الباحثين يفضل مصطلح "تداوليات" "Les pragmatiques "بصيغة الجمع بدل "التداولية" بصيغة المفرد ربما لأنهم أدركوا صعوبة توحيد التداولية ومناهجها، ولا حتى أهدافها.

ومن الباحثين المعاصرين نجد "طه عبد الرحمن"، وهو أول الباحثين العرب في هذا المجال، الذي إستخدم مصطلح (التداوليات) مقابلا "Pragmatique " والذي يقول: "وقد وقع اختيارنا منذ سنة 1970 على مصطلح "التداوليات" مقابلا للمصطلح الغربي (براغماتيقا)، لأنه يوفي المطلوب حقه، بإعتبار دلالته على معنيين "الإستعمال" و"التفاعل" معا ولقي منذ ذلك الحين قبولا من لدن الدارسين الذين أخذوا يدرجونه في أبحاثهم" [1].

ونشير هنا إلى أن هناك الكثير من الترجمات العربية لهذا المصطلح "Pragmatique" منها: التبادلية، والإتصالية، والنفعية، والمقصدية، والمقامية.

وقد إخترنا في بحثنا مصطلح "التداولية" للعلة نفسها التي ذكرها "طه عبد الرحمن"فالعودة إلى المعنى اللغوي نجد: <<إن الفعل (تَدَاوَلَ) في قولنا :"تداول الناس كذا بينهم"، يفيد معنى "تناقله الناس وأداروه بينهم">>[2]، وبذلك يكون قسيما للفعل (دَارَ) الذي من دلالته تقل الشيء وجريانه، نحو قولنا: دار على الالسن، جرى عليها، لنخلص إلى أن

1- طه عبد الرحمان: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام. المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، بيروت، ط2 2000 ص 27.

2- طه عبد الرحمان: تحديد المنهج في تقويم التراث. المركز الثقافي العربي، المغرب، 1993، ص 243.

المعنى الذي يحمله الفعل هو "التواصل" ومقتضى التداول-إذن-أن يكون القول موصولا بالفعل[1]، ومنْ ثَمَّ فهو الأنسب لأنه يوفي المطلوب من هذا المنهج، وهو دراسة الإستعمال والتفاعل الذي يتم بين أطراف التواصل.

وبالنسبة للدرس الغربي، تشير إلى أن أول من استعمل مصطلح التداولية الفيلسوف والسينمائي الأمريكي "تشارل موريس" "carles morris " سنة 1938، دالا به على فرع من "علم العلامات"، وهو فرع يهتم بدراسة <<علاقة العلامات بمستعمليها>> [2].

إذن، كانت التداولية في بداية أمرها إحدى الفروع الثلاثة المكونة للسيميائية، لأن تداولية "موريس" إقتصرت على دراسة ضمائر التكلم والخطاب، ظرفي المكان والزمان والتعابير التي تستقي دلالتها من معطيات تكون جزئيا خارج اللغة نفسها، أي من المقام الذي يجري فيه التواصل.

إذن كلمة التداولية ظلتا لا تغطي أي بحث فعلي، فلم تصبح مجالا يعتد به الدرس اللغوي إلا في العقد السابع من القرن العشرين، بعد أن قام على تطويرها ثلاثة من فلاسفة اللغة المنتمين الى التراث الفلسفي لـ «جامعة أكسفورد" وهم: "جون أوستين" "Jhon ostin" و"جون سيرل" "jhon searl "

و"بول جرايس" "paul grice"، وقد كان هؤلاء من رواد مدرسة "فلسفة اللغة الطبيعية" "Natural language" و"العادية ordinary". ونشير إلى أن جميعهم قد إهتم بطريقة توصيل معنى اللغة الإنسانية الطبيعية من خلال إبلاغ مرسل رسالة الى مستقبل لغيرها وكان هذا من صميم عملهم، وهو من التداولية أيضا ومن الغريب أن أحدا منهم لم يستعمل مصطلح التداولية فيما كتب من أبحاث>> [3].

وقد تأثر أصحاب "مدرسة فلسفة اللغة الطبيعية" بـ: "لود فيغ فيتغشتاين" L.wittgestim، وهو أحد أقطاب الفلسفة التحليلية، تلك الفلسفة التحليلية، تلك الفلسفة التي ظهرت على يد مجموعة من للفلاسفة الذين يعتمدون "**مبدأ التحليل**" وإن كانوا يختلفون في آليات ومواضيع تطبيقية، ويقوم هذا المبدأ على أن التحليل الفلسفي للغة كفيل بإيصالنا

---

1 – طه عبد الرحمان: تحديد المنهج في تقويم التراث، ص 243-244.

2 – فرانسواز أرمينكو: المقاربة التداولية، ترجمة سعيد عليوش، مركز الانماء القومي، الرباط، 1986، ص 08.

3- أحمد نحلة محمود: الاتحاد التداولي في البحث المعاصر، في اللغة والادب، تقديم محمد مصطفى أبو شوارب وآخرون، دار الوفاء لدنيا النشر، الاسكندرية، ط1، 2004.

إلى تفسير فلسفي للفكر، وتفسير الفكر كفيل بإيصالنا إلى الفهم الكلي للكون، وبإعتمادها هذا المبدأ إنطلقت هذه الفلسفة لتراجع جميع الإشكاليات الفلسفية، وتعيد صياغتها على أساس علمي هو اللغة، ولذلك فهي تعد ردة فعل قوية على الفكر الفلسفي القديم، ذلك أنها استدركت عليه إهماله للغات الطبيعية ،فسعت هي إلى دراستها وتحليلها.

حيث برز إسم الفيلسوف"لود فيغ فيتغشتاين" بما طرحه من ضرورة الإهتمام باللغة العادية–وهي اللغة الجارية التي يشكلها الرجل العادي أو رجل الشارع في حياته اليومية–، والذي كان سيرى أن طبيعة اللغة هي أنها "لعبة" وقانونها "الإستعمال"، لذا فهو يركز على معاني الكلمات، وللبحث عن هذه المعاني يجب أن تنظر إلى استعمالاتها في سياقاتها المتعددة في الحياة اليومية العادية[1].

وبذلك طرح مفهوم "الإستعمال" بقوة لتفسير ظاهرة المعنى، وقد وظف "أوستين" هذا المفهوم عند محاولاته لتعقيد نظرية "الأفعال الكلامية"، والتي تعتبر أهم النظريات التداولية.

إذن، كان للفلسفة التحليلية أثر جلي في نشوء اللسانيات التداولية، فبتحليلها للغة الطبيعية أثارت مشكلة منهجية هامة كانت غائبة عن الدراسات اللسانية أنذاك مثل: (البنيوية والتوليدية)، وهي دراسة قواعد إستعمال اللغة في سياقات مختلفة، وكذا مقاصد المتكلمين وأغراضهم وأحوال المخاطبين.

ولقد إستطاعت التداولية، بإعتمادها هذه المنهجية أن تتجاوز الوصف الصوري والتقعيدي للغة في أذهان مستعمليها، إلى الوصف الحقيقي للواقع اللغوي في إنجازاته واستعمالاته العامة والخاصة الخاضعة لظروف الكلام ومقاصد المتكلمين.

وقد حاولت التداولية الإجابة عن أسئلة كثيرة، لم تستطع المناهج الأخرى الإجابة عنها ومن بين هذه الأسئلة ما يلي:

–ماذا نصنع حين نتكلم؟

–ماذا نقول بالضبط حين نتكلم؟

–فمن يتكلم إذن؟

–وإلى من يتكلم؟

–من يتكلم ومع من؟

1– فهمي زيدان محمود: في فلسفة اللغة، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، دط، ص 54.

-من يتكلم ولأجل من؟

-ما هو مصدر التشويش والإيضاح؟

-كيف تتكلم في شيء وتريد شيئا آخر؟

وكباقي العلوم عامة واللسانيات خاصة هرع العرب المحدثون محاولين مواكبة الحضارة واللحاق بركب العلم فتلقفوا هذا المولود الجديد وغذوه من آليات أفكارهم، مترجمين تارة ومشيرين تارة بما لهم من تراث لغوي يسمح بأن يكون غذاء لهذا المولود الجديد [1].

ولقد أسهم ثراء التداولية، وتعدد التخصصات والنظريات التي احتوتها في حل العديد من هذه الاشكاليات، كما أن هذا التعدد في التخصصات أدى أيضا إلى إختلاف وتعدد تعاريف التداولية، إلا أنه يمكن تعريفها عموما بأنها: "الدراسة أو التخصص الذي يندرج ضمن اللسانيات، ويهتم أكثر بإستعمال اللغة في التواصل"[2].

كما يعرفها فرانسيس جاك "Francis Jacques" بموضوع بحثها << إذ تتطرق التداولية إلى اللغة كظاهرة خطابية وتواصلية وإجتماعية معا >> [3]

ونلاحظ أن كلا التعريفين يشير إلى أن التداولية تهتم بالبعد التواصلي للغة، لهذا تعتبر التداولية" علم جديد للتواصل" يدرس الظواهر اللغوية في الإستعمال، حيث تسمى التداولية ثم جديرة بأن تسمى " علم الإستعمال اللغوي "[4]

ومن الواضح أن تعريفات التداولية ترتبط بفكرة الإستعمال"، والتي ربما ترددت في التعاريف بشكل أو بآخر، فهي تدرس "إستعمال اللغة في السياق"، وتوقف شتى مظاهر التأويل اللغوية على السياق، فالجملة الواحدة يمكن أن تعبر عن معاني مختلفة أو مقترحات مختلفة من سياق الى سياق.

ويمكننا أن نعتبر أن أوجز تعريف للتداولية وأقربه إلى القبول << هو دراسة اللغة في الإستعمال Inuse أو في التواصل Ininteraction، لأنه يشير إلى أن المعنى ليس شيئا متأصلا في الكلمات وحدها، ولا يرتبط بالمتكلم وحده، ولا السامع وحده، فضاعة المعنى

1- موسى جمال: تحليلات مفاهيم التداولية في التراث العربي، رسالة ماجستير، ط1، 2009، ص 4-5.

2- فليب بلاشيه: التداولية من زوستين الى غوفمان، ترجمة صابر حباشة، ط:1، 2007، دار الحوار، ص 19.

3- فرانسواز أرمينيكو: المقاربة التداولية، ترجمة سعيد علوش، مركز الانتماء القومي، الرباط، 1986، ص 08.

4- مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب (دراسة تداولية الظاهرة الافعال الكلامية في التراث اللساني العربي) ص :16-17.

تتمثل في تداول Negotiation اللغة بين المتكلم والسامع في سياق محدد (مادي وإجتماعي ولغوي) وصولا إلى المعنى الكامن في كلام ما >>. [1]

وقد عنت الدراسات التداولية بأكثر من جانب من جوانب الخطاب، وذلك ضمن عدد من الدراسات منها: –دراسة الأفعال الكلامية.

– نظرية جرايس للمحادثة:

فقد كان لكل من "أوستين" و"سيرل" إسهامات في بناء "صرح التداولية " من خلال نظرية "الأفعال الكلامية"، كما كان ألفا "جرايس" إسهامات في نظرية " التداولية " ضمن نظرية في "المحادثة " وسنحاول أن نعطي نبذة عن جهود هؤلاء الباحثين في هذا الميدان.

1–نشأة التداولية:

مما هو معلوم ومتعارف عليه أن العلوم سواء القديمة أم الحديثة، العربية أم الغربية لم تنشأ دفعة واحدة، بكل مبادئها ومؤسسها ومجالاتها، بل نشأت عبر مراحل إلى أن وصلت إلى ما هي عليه من النضج والكمال، والتداولية حدث لها ما حدث لغيرها من العلوم، فقد بدأت نشأتها وولادتها عبر مراحل.

غير أن ما يميزها عن غيرها هو الإثراء العلمي المتدفق إليها في شتى النواحي العلمية الأخرى، إذ إنها تشكيلة من علوم عديدة، والسؤال الذي يطرح نفسه، ما هي الأسباب الدافعة إلى اللجوء إلى هذا المجال العلمي؟ ألم تكن العلوم السابقة لها. اللسانيات بكل تفريعاتها كافة لدراسة اللغة بمفهومها الشامل؟ سنحاول الإجابة عنها [2].

أ–أسباب ظهور التداولية:

هناك مجموعة من الأسباب تقف وراء الاهتمام بالتداولية، مؤخرا، منها ما يرجع إلى أسباب تاريخية وأخرى غير ذلك فقد بدأ الإهتمام بها بإعتبارها ردة فعل على معالجات "تشومسكي" للغة بوصفها أداة تجريدية، أو قدرة ذهنية قابلة للإنفصال عن إستعمالاتها ومستعمليها، والسبب الآخر هو التوصل إلى قناعة مفادها أن المعرفة المتقدمة بالنحو والصوت والدلالة، لم تستطع التعامل مع ظواهر معينة ذات أهمية بالغة، ويمكن إعتبار الإدراك المتزايد بوجود فجوة بين النظريات اللسانية من جهة ودراسة الإتصال اللغوي من

1 – محمود أحمد نحلة: الاتجاه التداولي في الدرس اللغوي المعاصر، في اللغة والأدب، تقديم محمد مصطفى أبو شوارب واخرون، دار الوفاء لدنيا النشر، الاسكندرية، ط1، 2004، ص 17.

2– جمال موسى: تحليلات مفاهيم التداولية، ص 10–11–12.

جهة أخرى، سبب آخر في الإهتمام بالتداولية من الأسباب أيضا، وصول النحو التوليدي إلى الطريق المسدود وفشله في تفسير ظواهر لغوية وذلك بإبعاده لكل من السياق والمقام كما يقول محمد صالح : << لم تسلم نظرية النحو التحويلي التوليدي التي ظهرت في النصف الثاني من القرن الحالي على يد رائدها الأول " تشومسكي " >>[1]

ومن الانتقاد بأنها لم تحفل في بدايتها الأولى، وأصولها بالسياق وإستبعدت علاقة اللغة بالمجتمع في أعمالها إذ قامت هذه النظرية على فكرة المتكلم السامع المثالي، وثنائية "الكفاءة والأداء" ويذكر "ليتش" أنه في أواخر سنة 1969 بدأ كارتر ومعاونوه في اكتشاف كيفية دمج المعنى في النظرية اللغوية التشكيلية، ولم يكن ذلك قبل احتلال التداولية واجهة الصورة بوقت طويل، كما يشير "لاكوف Lakog " قد ناقش سنة 1971 عدم منطقية فصل دراسة التراكيب اللغوية عن دراسة إستعمال اللغة، ومن ثم فقد أصبحت التداولية على خارطة اللسانيات، وتجدر الإشارة إلى المهتمين بهذا الأمر كانوا كلهم من الأمريكيين، ومن ثم فان ما سبق بمثل النظرة الضيقة للسانيات المتمثلة في البيانات الطبيعية للكلام ثم جاءت النظرة الواسعة للسانيات جامعة بين الشكل والمعنى والسياق. وبعد موريس "أول من أعطى تعريفَ التداولية حيث اعتبرها جزءا من السيميائية عندما ميز بين ثلاث فروع للسيميائية هي: التركيب (النحو)، ونعني به دراسة العلاقات التشكيلية بين العلامات، الدلالة وتعني بها علاقة العلامات بالأشياء، والتداولية نعني بها دراسة علاقة العلامات بمؤوليها.[2]

أ-بداية ارساء معالم التداولية:

إن التداولية مبحث من مباحث الدراسات اللسانية تطورت إبان سبعينات القرن العشرين، وهي كما يصفها "فرانسواز أرمينيكو" بأنها درس جديد وغزير، إلا أنه لا يمتلك حدودا واضحة ... إذ تقع التداولية كأكثر الدروس حيوية في مفترق طرق الأبحاث الفلسفية واللسانية، لأنها غير مألوفة حاليا.

ب-الأسس الفلسفية للمدرسة التداولية:

المعني وطبيعته المعقدة تتداخل في دراسته عدة علوم كالفلسفة والمنطق وعلم النفس وغيرها.

1- محمد سالم صالح: اصول النظرية السياقية عند علماء العربية، ودور هذه النظرية في التوصل الى المعنى، ص4.

2- المرجع نفسه، ص 4-5.

وعليه فإن نشأة التداولية التي يبحث عن المعني تكون نتاج هذه الحقول المختلفة[1] سواء أكان ذلك بشكل مباشر أم غير مباشر، فيرى الباحثون أن أولى مهام الفلسفة "هي البحث في اللغة وتوضيحها وقد إعتبر فلاسفة التحليل هذا المبدأ المنهجي، علامة قوة منهجهم، ومن أهم ما ذكرته الفلسفة التحليلية على ذلك الفكر الفلسفي القديم أنه لم يلتفت إلى اللفات الطبيعية، ولم يولها ما تستحق من الدراسة والبحث، فسعت إلى ردم هذه الهوة بإتخاذ اللغة موضوعا للدراسة بإعتبارها أولى الأولويات في أي مشروع فلسفي، كما تعد إسهامات موريس، هامة في نشوء البحث التداولي، وذلك من خلال تقييمه الثلاثي لحقول علم العلامات، النحو، الدلالة والتخاطبية أو التداولية فذكر أن علم النحو يدرس العلاقات بين العلامات اللغوية، وعلم الدلالة يدرس علاقاتها بالأشياء والتخاطب يدرس علاقة العلامات بمفسريها، ويعود هذا التصنيف أصلا إلى "بيرس" الذي ميز بين المواد الدالة والمدلول وقد قدم "بيرس" إسهاما كبيرا حين ميز بين النمط والورود، فالنمط هو علامة لها كيان مجرد مثالي وتقع في اللسان أي في وضع اللغوي، في حين الورود هو الاستعمال الملموس للنمط في السياق .[2]

وقد تأثر بأفكار فلسفية "قريجيه" التحليلية عدد من الفلاسفة منهم "فيتغشتاين" و"أوستين" و"سيرل" و"هوسرل" وغيرهم، وتجمع عند هؤلاء مفادها "أن فهم الإنسان لذاته ولعالمه يرتكز في المقام الاول في اللغة، فهي التي تعبر عن هذا الفهم ".

ثم أدّى الفيلسوف " لود فيغ فيتغشتاين " الذي تأثر بالفلسفة التحليلية دورا هاما في إسقاط اللغة العادية، وقوامها الحديث عن طبيعة اللغة، وطبيعة المعنى في كلام الرجل" ولعل ما يميز فلسفة "فيتغشتاين" التحليلية، بحثه في المعنى وذهابه إلى أن المعنى ليس ثابتا ولا محددا، ودعوته إلى تفادي البحث في المنطق الصارم ".

وبين أحضان فلسفة اللغة العادية، نشأت الأفعال الكلامية من تراث "فبثغنساين" لم يكتسب العناية الحقيقية إلا بعد ما تبناه فلاسفة مدرسة "أكسفورد" ولا سيما "جون أوستن" الذي بدأ أثر "فيتغشتاين" واضحا في كتابه عندما يكون القول هو الفعل، ثم تتبعه "جون سيرل" الذي ألف أفعال الكلام.

1–حمدوش وائل: التداولية دراسة في المنهج ومحاولة في التصنيف، ص: 2.

2– المرجع نفسه. الصفحة نفسها.

ويعد "أوستين" وتلميذه "سيرل" من أبرز مؤسسي المدرسة التداولية، ثم تبعهم في تطوير هذا المنهج الفيلسوف "بول غرايس" في جهوده الكبيرة التي طور بها الدرس التداولي، ولاسيما في حديثه عن مبادئ المحادثة.

وقد أطال كثير من الباحثين في التخريج الفلسفي للمدرسة التداولية، من ذلك ما قامت به "فرانسواز أرمينكو" في كتابها "المقارنة التداولية".

فلقد ذهبت في التأصيل الفلسفي لهذه المدرسة شوطا بعيدا لا يعنينا منه الكثير لأننا بذلك نخرج عن طبيعة عملنا ذو الطبيعة اللغوية بعيدا عن تجاذبات الفلسفة وتخريجاتها التي تأخذ منها قدر الحاجة حسب ما يرى كل باحث، ومن جهة نظر خاصة تأثير الفلسفة في نشوء مدرسة لغوية، وقد يكون ذلك غير متفق عليه، فيتمتع التأصيل ويتقلص تبعا لنظر الباحث في التأثير والتأثر [1].

ج-التداولية اللسانية:

تطورت التداولية في أوروبا وبالخصوص في فرنسا، إثر أعمال "أوستين" و"سيرل" بفضل اللسانيين، فالتداولية تشعر إلى أن تكون مندمجة في اللسانيات وهي جزء لا يتجزأ منها [2].

إنطلق التفكير في التداولية، المسماة التداولية مندمجة، كما عرفها على سبيل المثال أوزوالد دكرو OSWALD DUCORT من ملاحظة أن الدلالات اللغوية تتأثر بشروط استخدام اللغة، وهي شروط مقننة ومتحققة في اللغة، ولقد قادت تحاليل العبارات اللغوية التي تناولت الأفعال الإستثنائية (فضلا عن ذلك "وأخيرا " وفعلا") إلى الفرضية التي تعتبر أن دلالة هذه الكلمات (المعجمية أو النحوية) تتضمن تعليمات حول كيفية إستعمال الجمل في الخطاب.

وعليه فإن المسألة اللغوية التي كانت وراء تطور التداولية المندمجة، ويعني مسألة الإقتضاء، بالإمكان بكل بساطة وصف الإقتضاء بأنه المضمون الذي تبلغه الجملة بكيفية غير صريحة، وهكذا فإن القائل إذا قال "كف زيد عن ضرب زوجته" فإنه قال صراحة، إن

1- حمدوش وائل: التداولية دراسة في المنهج ومحاولة في التصنيف. ص:3.

2- آن روبول جان موشلار: " التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ترجمة سيف الدين دغفوس، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت ، ط1، 2003 ، ص:47.

زيد لا يضرب زوجته الآن (وهذا هو المحتوى المقرر أو الإختيار)، كما أنه أبلغ بكيفية غير صريحة أن زيدا ضرب زوجته فيما مضى، (وهذا هو المحتوى المقتضي أو الإقتضاء).

لقد ناقشت المقاربات التقليدية المنطقية أو الفلسفية المنحدرة أساسا من تقاليد فريغة" frege" و"راسل" "rusell " مسألة الإقتضاء في حدود الخيار الآتي: إما أن الإقتضاء يمثل شرطا للمحتوي، وإما أنه شرط للإستعمال. فماذا تعني هاتان العبارتان؟

إذا عرف الإقتضاء بأنه شرط للمحتوى. فإن الإقتضاءات هي المحتويات التي لا يحددها كون الجملة صادقة أو كاذبة، فإذا قرر "بيلر" أن ملك السويد حكيم فإن ذلك يقتضي أنه "يوجد ملك للسويد" وسواء أكانت هذه الجملة صادقة أم كاذبة فإنه بإمكان أن تبين بسهولة أو إقتضاؤها صادق دائم، تعود إلى التماسك المنطقي. [1]

يرى المدافعون عن إعتبار القضاء شرط للإستعمال أن كل جملة تتلفظ بها ويكون اقتضاؤها كاذبا هي جملة لا معنى لها (أي لا يمكن وصفها بأنها صادقة أو كاذبة).

وللأسف لم يقدم هذا الموقف "التداولي" حلا لمسألة الإقتضاء أكثر إقناعا من الموقف "المنطقي" إلا أنه سجل نجاحا كبيرا. لأنه يجعل من الإقتضاء مسألة تداولية، فالإقتضاء هو ما ينبغي قبوله في التواصل حتى يتسنى للمتخاطبين أن يتفاهموا [2].

مفهوم التداوليــة:

ا-التداولية لغة:

يرجع المصطلح إلى مادة (دَوَلَ)، وقد وردت في (مقاييس اللغة) على أصلين: "أحدهما يدل على تحويل الشيء من مكان إلى آخر، يدل على ضعف وإسترخاء، فقال أهل اللغة إنْدَالَ القوم، إذ تحولوا من مكان إلى مكان، ومن هذا الباب تداول القوم الشيء بينهما إذا صار من بعضهم إلى بعض. والدَوْلَةُ والدُوْلَة لغتان ويقال بدل الدُوْلَة في المال والدَوْلَة في الحرب، وإنما سمي بذلك من قياس (الباب لأنه أمر يتداولونه، فيتحول من هذا إلى ذاك، ومن ذاك إلى هذا"[3].

1- آن روبول جان موشلار: التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ص: 47

2 - المرجع نفسه، ص: 47، 48.

3- ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، ط 2، 1991، ص:314.

في لسان العرب لا نجد إشارة إلى التداولية وإنما تناول صاحب الفعل "دَوَلَ" الذي إشتقت منه هذه الكلمة. يقول ابن منظور: "دَوَلَ" دُوَلُ والدُوْلَة في المال وفي الحرب سواء، قبل الدُوْلَةُ باضم في المال والدَوْلَةُ بالفتح في الحرب وقيل هما سواء فيهما يضمان وينفتحان... وقيل بالضم في الآخرة وبالفتح في الدنيا والجمع دول ودول، قال "ابن جني": "مجيء فعلة على فعل يريك انهما جاءت عندهم من فعلة فكان دُوَلاً ودَوْلَةُ لأن الواو مما يسيله أن يأتي تبعا للضمة"[1].

فالفعل دُوَلٌ تشتق منه الدُوْلَةُ بالضم والإنتقال من حال الى حال في المال فقط. وقال "أبو عبيدة":

"الدُوْلَةُ بالضم إسم الشيء الذي يتداول بعينه والدولة بالفتح الفعل وفي حديث أشراط الساعة إذا كان المغنم نقلا جمع دولة بالضم وهو ما يتداول من المال فيكون لقوم دون قوم".

وقال"الزجاج":" الدولة اسم الشيء الذي يتداول والدولة الفعل والإنتقال من حال الى حال".

قال"الحجاج": "يوشك أن تُدَالَ الْأرض مما أدلنا منها أن يجعل الكرة، والدَوْلَة علينا تأكل لحومنا كما أكلنا ثمارها وتشرب دماءنا كما شربنا مياهها، وتداولنا الأمر أخذناه بالدَوَلْ وقالوا دوليكا أي المداولة على الأمر، قال "سيبويه": "وإن نشأت حملت على أنه وقع في هذه الحال ودَالَتْ الأيام أي دَارَتْ ويُدَاوِلُهَا بين الناس وتداولته الأيدي أخذته مرة هذه ومرة هذه ودَالَ القوم أي بلا وقد جعل وده يدُوْل"[2].

"فابن منظور" تناول تعريف الجذر"دَوَلَ" بنوع من التفصيل أما في القاموس المحيط "للفيروز ابادي": "تداولوه"، أخذوه بالدول ودواليك، أي مداولة على الأمر، أو تداول بعد تداول"[3].

وفي مختار الصحاح: "دَوَلَ" (ٱلدَوْلَة) وفي الحرب أنه تدال الفئتين على الأخرى، يقال كانت ٱلدَوْلَةُ والجمع الدِوَلْ بكسر الدال، والدَوْلَةُ بالضم في المال يقال صار ... دولة فيما

1- محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري: لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط1 الجزء 11، ص 252.

2- المرجع نفسه، ص 252.

3- الفيروز أبادي محمد بن يعقوب: القاموس المحيط. تحقيق يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر، بيروت، 1995 ص 9000

بينهم يتداولونه يكون مرة لهذا والجمع يتدول به بعينه والدَوْلَةُ بالفتح الفعل، ودالتا والله يداولها بين الناس وتداولته الأيدي أخذته مرة هذه ومرة هذه"[1].

وفي "معجم الوسيط" "دَالَ الدهر" ودَولَة إنتقل من حال الى حال.

والأيام دَالتْ: "دَارَتْ"، ويقال: دَالَتَا الأيام بكذا ودالة له الدولة، أدال الشيء: جعله متداولا. وفلان وغيره أومته، نصره وغلبه عليه، دَاوَلَ كذا بين الناس، أدارها وصرفها، وفي التنزيل العزيز: "وَتِلْكَ الأَيَامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَاسْ"، وتداولت أيدي الشيء: أخذته مرة هذه ومرة هذه.

إضافة إلى هذا في "المصباح المنير" تداول القوم تَدَاوُلاً، وهو حصوله في يدي هذا تارة وفي يدي هذا تارة أخرى، وإسم الدَوْلَةُ بفتح الدال وضمها وجمع المفتوح دَوَلَ بالكسر مثل: قَصْعَة وقِصَعْ مثل: غُرفَة وغِرَفْ، ومنهم من يقول الدُوْلَةُ بالضم في المال وبالفتح في الحرب، ودالت الأيام تَدُوْلُ مثل: دَارَتْ الأيام تدور وزنا ومعنى"[2].

ولا تكاد المعاجم الأخرى تخرج من هذه الدلالات: جاء في (أساس البلاغة):"دالت له الدولة"، ودَالتْ الأيام بكذا وأدَال الله بني فلان من عدوهم: جعل الكثرة لهم عليه [3].

التداولية مصطلحا:

تعود كلمة (التداولية) في أصلها الأجنبي "Pragmatique" إلى الكلمة اللاتينية "Pragmaticus"، والتي يعود إستعمالها إلى عام 1440م، ومبناها على الجذر (pragma) ومعنى الفعل(action) ثم صارت الكلمة بفعل اللاحقة، تطلق على كل ماله نسبة إلى الفعل أو التحقيق العلمي [4].

ويقترح بها المصطلح في اللغة الفرنسية معنيان أساسيان"محسوس" و"ملائم للحقيقة" أما في اللغة الإنجليزية فإن كلمة (pragmatique) تدل في الغالب على ماله علاقة بالأعمال والوقائع الحقيقية [5].

1- ابن منظور: المرجع السابق. دار صادر، بيروت، ط1، ج11. ص 252.

2- المعري النبوي أحمد بن محمد بن علي: المصباح المثير. المكتبة العلمية، بيروت، ج1، ص: 254.

3- الزمخشري جار الله أبو القاسم محمد بن عمر: أساس البلاغة، تحقيق عبد الرحيم محمود، عرف به امين الخولي دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت 1982، ص 139.

4- نواري سعودي أبو زيد: في تداولية الخطاب الادبي (المبادئ والإجراء)، بين الحكمة للنشر، ط 1، 2009 ص:18

5- ابن عيسى عبد الحليم: المرجعية في النظم التداولية، جامعة وهران، ص 9-10.

ولكن في اللغة العربية يجب أن نفرق في المصطلح بين "التداولية" والذي نقصد به هذا الاتجاه اللغوي الجديد الذي يعني بقضايا الإستعمال اللغوي، ويقابله المصطلح الفرنسي (pragmatique) والبراغماتية أو ما يترجم أيضا بـ:"الذرائعية" أو"النفعية" أو غيرها، كمذهب فلسفي تجريبي عملي تجاوز المذهب العقلاني وطور الإتجاه التجريبي لا تقوم على معاني عقلية ثابتة أو تصورات قبلية ،ترتبط بالواقع التجريبي، كما تحاول أن تفسر الفكرة ليس بمقتضياتها العقلية أو الحسية، بل بتتبع وإقتفاء أثر نتائجها "العملية" ويقابلها مصطلح" pragmatisme" ومن روادها: وليلم جونس، جون ديوي، وغيرهم[1].

ونتيجة لتعدد المنطلقات واختلافها في الدراسة التداولية حدث نوع من التداخل مع حقول أخرى أدى إلى تنوع التسميات وبالخصوص في ترجمتها إلى اللغة العربية منها:

-مصطلح "البراغماتية".

-مصطلح "علم التداول".

-مصطلح "علم المقاصد".

-مصطلح"المقامية".

-مصطلح" السياقية".

-مصطلح الأفعالية".

وغيرها من المصطلحات التي هي في الحقيقة تكرس الفوضى المصطلحية ولا يخدم الدرس اللغوي العربي ولذا يدعو إلى ضرورة الأخذ بالمصطلح المشهور لدى الباحثين في هذا المجال وهو "التداولية".

ج-التداولية اصطلاحا:

إن أقرب حقل معرفي إلى التداولية " La pragmatique" في منظور الباحثين هو اللسانيات، وإذا كان الأمر كذلك فإنه من المشروع البحث في صلة هذا العلم التواصلي الجديد باللسانيات وغير اللسانيات، وذلك قبل وضع تعريف للتداولية أو تحديد مفهومها.

ومن ثم نرى أنه من اللائق التساؤل عن المعيار الذي يصطلح أن يكون ضابطا في تحديد مفهوم التداولية فعلى أي معيار هذا المفهوم؟ هل يحدده بناء على معيار البنية اللغوية؟

1- دراسات أدبية محكمة: دورية فصيلة تصدر عن مركز، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، ص 10.

إن هذه الصيغ يجعلها مساوية للسانيات البنيوية فلا يكون أي فرق بينهما، وليس هذا هو ما تقدمه البحوث التداولية، هل تحدده على معيار الإستعمال اللغوي وحده؟ إن تحديده على هذا الضابط فهو إقرار بأن لا صلة تذكر بينه وبين البنية اللغوية، وهذا ما يخالف أيضا النتائج التي إنتهت إليها آخر الأبحاث والدراسات التداولية. هل يحدده بناء على تعالق البنية اللغوية بمجال إستعمالها؟ إن هذا الصيغ يبدو مبررا [1].

وعليه تعددت مفاهيم"التداولية"، ومن أبرزها تعريف "موريس"الذي يقول: <<أن التداولية جزء من السيميائية التي تعالج العلاقة بين العلامات ومستعملي هذه العلامات>>.

وهو تعريف عام يجعل فيه صاحبه "التداولية" جزءا من السيميائية، كما انه لا يحدد طبيعة العلامة التي تعالج هذه العلامات في الإتصال الإنساني؟ والحيواني؟ أم الدلالي؟

-وهناك تعريف لساني آخر لـ:"ماري ديبروفواسنوا"."ريكافاتي" وأن التداولية: <<هي دراسة إستعمال اللغة في الخطاب شاهده في ذلك على مقدرتها الخطابية>> [2].

وإذا أردنا أن نحلل هذا القول من أجل الوقوف على المقصود من هذا الحد وعليه تسجيل النقاط التالية:

-التداولية علم يهتم بدراسة اللغة الإنسانية في الإستعمال.

-تسعى التداولية الى الكشف عن المقدرة الإنجازين التي تحققها العبارة اللغوية.

-التداولية بحث في الدلالات التي تفيدها اللغة في الإستعمال.

ويعرفها "فان جاك" بكونها: << دراسة لغة بوصفها ظاهرة خطابية وتواصلية وإجتماعية في الوقت نفسه >>.

-وهي عند رائدها "أوستين" Austin": <<جزء علم أعم، هو دراسة التعامل اللغوي من حيث هي جزء من التعامل الإجتماعي وبهذا ينتقل باللغة من مستواها اللغوي إلى مستوى آخر، وهو المستوى الإجتماعي في نطاق التأثير والتأثر>> [3].

فالتداولية تدرس الاتصال اللغوي في إطاره الإجتماعي، بالكشف عن الشروط والمعطيات التي تسهم في إنتاج الفعل اللغوي من جهته، كما تبحث في فاعليته وآثاره العلمية من جهة أخرى.

1- حافظ إسماعيل علوي: التداولية (علم استعمال اللغة). عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2011، ص31.

2- فرانسواز أرمينكو: المقاربة التداولية، ترجمة سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، 1986، ص 08.

3- راضية خفيف: التداولية وتحليل الخطاب الأدبي، دمشق، ط1، 2004، ص 56.

-وفي هذا الإطار يقول "صلاح فضل" التداولية:" إذ تعني بالشروط والقواعد اللازمة والملائمة بين أفعال القول ومقتضيات المواقف الخاصة به، أي العلاقة بين النص والسياق"[1].

-وهي عند محمود أحمد نحلة:"فرع من علم اللغة، يبحث في كيفية إكتشاف السامع مقاصد المتكلم، فمثلا حين يقول شخص أنا عطشان (فقد يعني أريد كوب ماء)، وليس من الضروري أن يكون إخبارا بأنه عطشان، فالمتكلم كثيرا ما يعني أكثر مما تقوله كلماته"[2].

-ومن هذه المفاهيم يلاحظ أن "التداولية" تدرس"الإستعمال اللغوي" في الإتصال اللساني، وفقا لمعطيات سياقية وإجتماعية معينة، لذلك عرفها بعض العلماء بأنها:"الدراسة التي تعني إستعمال اللغة، وتهتم بقضية التلاؤم بين التعبير الرمزي والسياقات المرجعية والمقامية والحديثة والبشرية"[3].

-ومن المفيد أن يشار إلى أن هذا الموضوع، أي الاستعمال اللغوي، قد تجاذبته حقول متنوعة، وفق زوايا مختلفة، ولذلك كان للسانيات التداولية أن تفيد من النتائج التي تقرها العلوم من أجل الوقوف على القوانين الكلية التي تضبط"الإنتاج اللغوي".

1- صلاح فضل: البلاغة الخطاب، مكتبة لبنان، ط1، 1996، ص 24-25.

2- محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي. الإسكندرية، 2002، ص 52.

3- فيليب بلانشيه: التداولية من أوستين إلى غوفمان. ترجمة صابر الحباشة، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ط1، 2007، ص 18.

المبحث الثاني؛ من قضايا اللسانية التداولية:

قد لا يستطيع هذا البحث الإلمام بقضايا التداولية عموما، وبالموضوعات التي صارت محدودة ضمن العنوان الكبير (اللسانيات التداولية) وذلك لأسباب منها إتساع مجالها وتعدد بيئة نشأتها... مما جعل حصر موضوعاتها أمر يكاد يستعصي على من يريد رسم حدود لها، فهي أحيانا في تماس مع معارف أخرى، وفي الإندماج أحيانا.

ولذلك فضل هذا البحث عنوان من قضاياها، قد يتجاوز مجال اللسانيات الذي يحدد هذا البحث إلى مجالات أخرى لا يحسنها، ولقد سمح فحص مدونة اللسانيات التداولية عموما بتحديد موضوعات تكاد تكون أساسية فيما بينها [1]:

1-أفعال الكلام:

نشأت فكرة (أفعال الكلام) أو (أفعال اللغة) من أهم مبدأ في الفلسفة الغربية الحديثة مجال النشأة التداولية وتطورها وهو أن: "الاستعمال اللغوي ليس إبراز منطوق لغوي فقط، بل إنجاز حدث إجتماعي معين أيضا في الوقت نفسه".

وذلك بعدما كانت الفلسفة الوضعية المنطقية تشترط مقياسا وحيدا للحكم على دلالة جملة ما، وهو مقياس الصدق والكذب مما حصر العبارات اللغوية في منوال واحد هو العبارات الخبرية كان تصف واقعا ما ويحكم على صدقها أو كذبها بمدى مطابقتها لذلك الواقع ... "الجو جميل"صادقة في حالة واحدة وهي جمال الجو وكاذب في غير ذلك. [2]

وجوهر الخبر عند هؤلاء الفلاسفة أنه لا يقبل إلا إذا كان خاضعا للتمحيص والتجريد وأن الوظيفة الأساسية للغة هي وصف حالات العلم وإثباتها.

ومن بين الذين تصدوا إلى هذه الفكرة "أوستين" حيث نظرية الأفعال الكلامية التي جاء بها الفيلسوف المعاصر"أوستين" وطورها تلميذه الفيلسوف"سيرل" بإعطائها صيغتها النموذجية النهائية فقد تعمق "أوستين" في إنجاز فلسفة دلالية، تهتم بالمضامين ومقاصد التواصل.

فقد كان "أوستين" يلح على القيمة التداولية لعبارات لغوية كثيرة تستخدم في اللغة الإنجليزية وربما في كل اللغات، ومن الجديد الذي يخالف به الفلاسفة الكلاسكيين ويوافق به

1- خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية، بيت الحكمة للنشر، ط 1، 2009، ص 89 .90.

2- أحمد المتوكل: اللسانيات الوظيفية، مدخل نظري، الرباط، منشورات عكاظ، 1989، ص 16.

أسلافه من فلاسفة التحليل إدخاله مفهوم مقولة القصدية في فهم الكلام المتكلم وفي تحليل العبارات اللغوية [1].

فكرة أفعال الكلام عند "اوستين":

إقترح"اوستين" قسما ثانيا من العبارات إلى جانب "العبارات الوصفية" هو" العبارات الإنجازية" التي لا يحكمها مقياس الصدق والكذب، ويتزامن النطق بها مع ما يحقق مدلولها، كما ان لهذه العبارات الانجازية شروطا اوضحها الدارسون ولا تتحقق إنجازيتها إلا بها هي:[2]

-أن يكون الفعل فيها منتميا إلى مجموعة الأفعال الإنجازية (وعد، سال، قال، حذر....)

-أن يكون الفاعل هو نفسه المتكلم، أي أنها تمثل الفردية ممن يقولها.

-أن يكون زمن دلالتها المضارع.

- شروط -كمايرى-تجمع بين المستويين اللغوي والمعجمي، وغياب شرط واحد كفيل بتحويلها إلى عبارة وصفية، ويتميز الفعل الإنجازي عن الوصفي(الإخباري) بكونه عاكسا للآثار التي ينجزها الكلام، وهو فعل دقيق للغاية، ثم لاحظ"أوستين" بعد ذلك أنه يمكن تقدير فعل وفق الشروط المذكورة، في العبارات الوصفية نحو:(أقول) "الجو جميل" لتصير انجازية هي الاخرى، وعليه فكل العبارات الملفوظة إنجازية على نوعين:

1-إنجازية (صريحة مباشرة): فعلها ظاهر (أمر، حصر، دعاء) فهي بصيغة الزمن الحاضر المنسوب الى المتكلم.

2-إنجازية (ضمنية غير مباشرة): فعلها غير ظاهر، نحو: الإجتهاد مفيد [3] قول الإجتهاد مفيد = أمرك أن تشتهد.

وميز فيها بين ثلاثة أنواع من الأفعال الكلامية:

أ-**فعل قولي "Locutoire"**: يقابل التلفظ بالأصوات (فعل صوتي)، والتلفظ بالتركيب (فعل تركيبي) وإستعمال التراكيب حسب دلالتها (فعل دلالي).

---

1 - مسعود صحراوي: التداولية عند علماء العرب، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط 1، ص 10.

2- أحمد المتوكل: اللسانيات الوظيفية، ص: 19.

3- خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية. ص 96. 95.

ب-فعل إنجازي (القول الفاعل): يحصل بالتعبير عن قصد المتكلم من أدائه: يعد يخبر يعجب ينذر ويتمثل (الجانب التبليغي والجانب التطبيقي).

ت-فعل تأثيري (إستلزامي): يحصل بغير الفعل الإنجازي في حال المتلقي بالتأثير عليه، كأن (يرعبه- يجعله ينفعل...) ويتميز كل فعل من هذه الافعال بتوفره على قوة إنجازية، وهي تفرض تزامنا تاما بين الموضوع الملفوظية والتلفظ.

وإستنادا إلى مفهوم القوة الإنجازية ميز "أوستين" خمسة أنواع للأفعال الكلامية:

1-الأفعال الحكمية (الإقرارية حكم، وعد، صدق).

2-الأفعال التمرسية: إصدار قرار لصالح أو ضد ... أمر، قاد، طلب.

3-أفعال التكليف: (الوعدية): تلزم المتكلم: وعد، تمنى، التزم.

4-الأفعال العرضية: (التعبيرية): عرض مفاهيم منفصلة (أكد، أفكر، أجاب).

5-أفعال السلوكيات: (الإخبارية): ردود الأفعال، تعبيرات إتجاه السلوك، إعتذر، هنأ حي، رجي ... وتتضح أشكال الفعل الإنجازي خصوصا في التمرسية الآتية: [1]

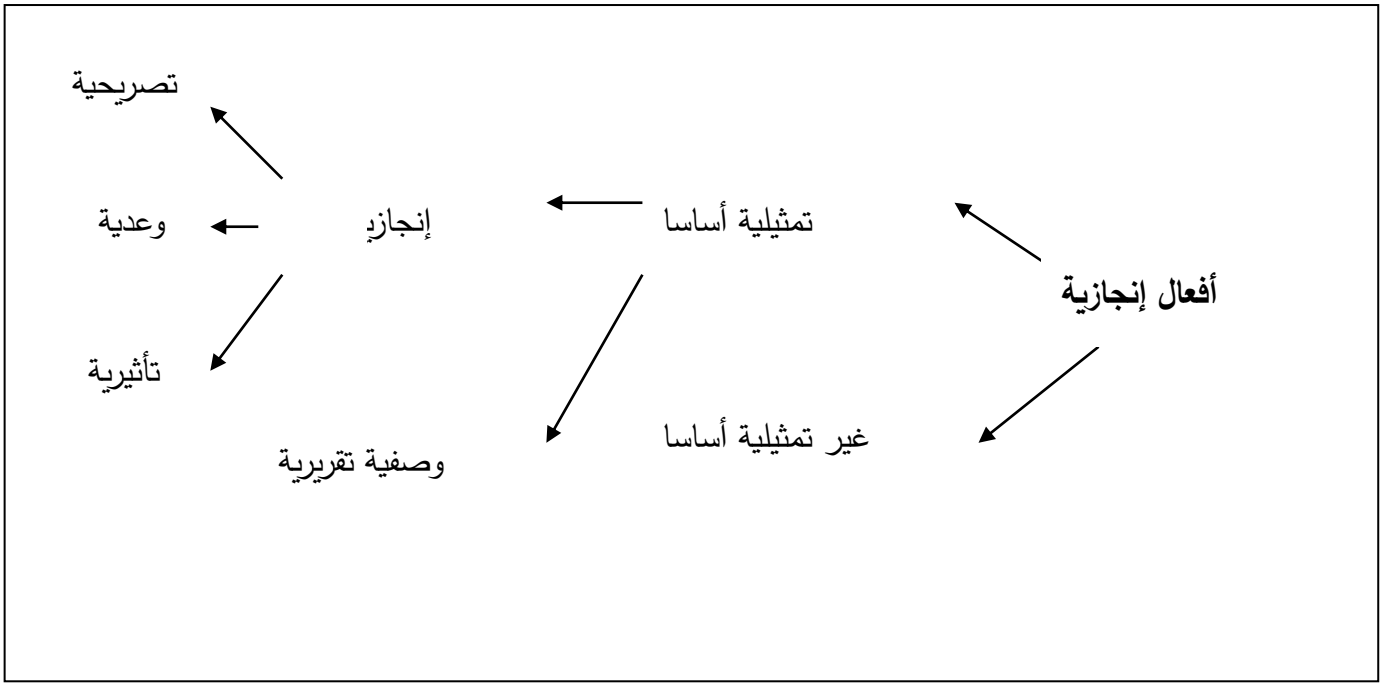

1- خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية، ص: 97، 98.

ب-أفعال الكلام عند "سيرل":

هو أول من أوضح فكرة "أوستين" السابقة وشرحها أكثر بتقديمه شرط إنجاز كل فعل إلى جانب بيانه شروط تحول فعل من حال إلى حال أخرى وآليات ذلك، وتوضيح خطوات استنتاج الفعل المقصود [1]، فتقول من في المكتب "تركت الباب مفتوحا" لمن يدخل عليه يخضع إلى جملة خطوات الإدراك الفعل المقصود إنجازه منها:

إن الضجيج في الرواق ولا ينبغي ترك الباب مفتوحا فهو يأمرني بإغلاقه أو ما نجده في إجابة أستاذ تخصص ما في الجامعة لمن يسأل عن مدى إستعداد إبنه الطالب لدراسة ذلك التلخيص: يقول: "إن الطالب المذكور لاعب كرة ممتاز << فيدرك السائل مضمون الإجابة، بأن إبنه غير موفق في هذا التخصص.

ومما قدمه "سيرل" أيضا أنه أعاد تقييم الأفعال الكلامية وميز بيع أربع أقسام.

فعل التلفظ (الصوتي، التركيبي) الفعل التصويري (الإيحائي الجملي) الفعل الإنجازي (على نحو فعل ما فعل "أوستين"، الفعل التأثيري (على نحو ما فعل أوستين وسرعان ما أعاد إقتراح خمسة أصناف لها:

1-الأخبار (تبليغ الخبر، وهي تميل للواقع)، وتسمى أيضا التأكيدات الأفعال الحكمية

2-الأوامر: Directifs " (تحمل المخاطب على فعل معين).

3-الإلتزامية: "Cominissifs" (أفعال التعهد): وهي أفعال التكيف عند " أوستين" وتعبر عن حالة مع شروط صدقها.

4-**الإنجازيات**: " Déclarations " (الإدلاءات) يكون حين التلفظ ذاته [2].

جرايس ونظرية المحادثة (قواعد الفعل الكلامي):

إهتمت النظرية التداولية بالدور الذي يقوم به المتخاطبون في العالم الإجتماعي فهؤلاء المتخاطبون لا يتفاعلون فيما بينهم بواسطة اللغة فحسب، بل إنهم يقبلون ذلك التفاعل ويتعاونون عليه لضمان نجاح عملية التواصل.

وقد إقترح بول جرايس Paul Grice، في مقاله الشهير "المنطق والحوار Logic and convercation " مفهوم " حكم المحادثة ".

1- فرانسواز أرمينكو: المقاربة التداولية، ص 66.

2- عبد الله صولة: الحجاج في القرآن الكريم، من أهم خصائص الأسلوبية، جامعة منوية تونس، ج1، 2001، ص:31.

والذي كان يشغل جرايس هو << كيف يكون ممكنا ان يقول المتكلم شيئا ويعني به شيئ آخر؟ ثم كيف يمكن أيضا أن يسمع المخاطب شيئا ويفهم شيئا آخر>> [1]

وحلا لهذا الإشكال إقترح مبدأ، يعد المبدأ الأول للتخاطب، وهو ما أسماه "مبدأ التعاون Cooperative principle " والقواعد المشتقة منه موزعة على أربعة أصناف، وهي:

1-مبدأ الكم Canitie (تتعلق بكم الخبر) وهي:

-لتكن افادتك على قدر حاجتك.

-لا تجعل افادتك تتعدى القدر المطلوب.

2-مبدأ الكيف Qualité (يرتبط بكيف الخبر) وهي:

-لا تقل ما تعلم كذبة.

- لا تقل ما ليس لك عليه بنية.

3-مبدأ المناسبة Relevance (يرتبط بعلاقة الغير بمقتضى الخبر)

ليناسبك مقالك مقامك.

4-مبدأ الطريقة Manner (يتعلق بجهة الخبر) وهي:

- لتحترز من الخفاء في التعبير.

- لتحترز زمن الإشتباه في اللفظ.

- لنتكلم بإيجاز.

- لترتب كلامك. [2]

وإتباع هذه المبادئ وما جاءت به من توصيات، كفيل من وجهة نظره، بنقل المعنى وتيسير المحادثة نحو الإفهام وتحقيق الهدف المشترك، تعويلا على التعاون بين طرفي الخطاب.

ويتم الإنتقال من المعنى الصريح "Explicit meaning" وما يحمله من معنى متضمن " meaning inexplicit " باللجوء إلى عملية إستدلالية تعرف بـ "الإستلزام Implicative «لتوضيح ذلك نضرب المثال التالي: حوارين زوج (أ) وزوجة (ب):

أ-أين مفاتيح السيارة؟

1- محمود أحمد نحلة: الإتجاه التداولي المعاصر. ص 189.

2- طه عبد الرحمان: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص: 103 /104.

ب–على المائدة.

تم تحقيق "مبدأ التعاون" في هذا الحوار القصير، فلقد أجابت الزوجة (ب) إجابة واضحة (الطريقة)، كما وكانت صادقة (الكيف)، وإستخدمت القدر المطلوب من الكلمات دون زيادة (الكم) وأجابه إجابة ذات صلة وثيقة بسؤال زوجها المناسبة، لذلك لم يتولد عن قولها أي "إستلزام" لأنها قالت " ما تقصد " وبذلك تصبح هذه المبادئ والقواعد التخاطبية بمنزلة الضوابط التي تضمن لكل مخاطبة أن تبلغ الغاية في الموضوع والفائدة، أي أن تكون المعاني التي يتناقلها المتكلم والمخاطب معاني صريحة وحقيقية، إلا أن المتخاطبين قد يخلفان هذه القواعد .

وبهذه المخالفة فإن الفائدة تنتقل من المعنى الصريح إلى المعنى الضمني والمجازي فإذا قال قائل: << لقد اشتد الحر في هذا المكان >>.

فهو يقصد أن يبادر أحد المستمعين إلى فتح النافذة، وهذا القول بخل <<بقاعدة الكم>> إذ يخبر بما هو معلوم لدى المخاطبين، إلا أن في باطنه "طلب" وليس "إخبار " .

وقد حاول جرابس صياغة إطار لتفسير، بل حاول تبرير عدم مطابقة معنى المتكلم لدلالة الخطاب المنطقية أو الحرفية << فالمتخاطبون في حواراتهم قد يقولون ما يقصدون وقد يقصدون اكثر مما يقولون ،وقد يقصدون عكس ما يقولون، فجعل كل همه إيضاح الاختلاف بين ما يقال"what is said"و ما يقصد "what is meant"، فما يقال هو ماتعنيه الكلمات والعبارات بقيمها اللفظية "face value" وما يقصد هو ما يريد المتكلم أن يبلغه السامع على نحو غير مباشر اعتمادا على أن السامع قادر على أن يصل إلى مراد المتكلم بما يتاح له من أعراف الإستعمال ووسائل الإستدلال>>[1]

ويمكن للمرسل التعبير بالمقصود المستلزم باكثر من طريقة << اذ تنتج على الاقل طريقتين متباينتين، وذلك طبقا للموقف الذي نتخذه من القواعد، فقد يراعي المتكلم القواعد والحكم بشكل صريح الى حد ما، تاركا للمخاطب مهمة توسيع وتظهير ماقبل اللجوء الى إستدلالات مباشرة (إنطلاقا من مراعاة المتكلم للقواعد...، دعنا نسمي هذا الإستدلال الناتج عن مراعاة القواعد بالإستلزام النموذجي standard implicative وهناك طريقة أخرى

1– محمود أحمد نحلة: الإتجاه التداولي في البحث اللغوي المعاصر. ص: 187.

للإستدلال، وهي عندما يخل المتكلم عن قصد وعلانية بقواعد التخاطب، أو كما يعبر عن ذلك(جراس) عندمل يستخف (flout) المتكلم بهذه القواعد>>[1]

وبهذا يتضح أن "الإستلزام" لا ينتج عن خرق القواعد فحسب كما هو الظاهر، بل ينتج أيضا عن الإستلزام بها، وذلك بالإتكاء على "مبدأ التعاون" في الحوار، ولهذا فإن جرايس يقسم "الإستلزام"الى قسمين رئيسين:

يعرف النوع الأول من الإستلزام بـ «الأستلزام المعمم"، أو هو ما يسمى بـ «الإستلزام النموذجي"، مثلا في الحوار التالي:

-هل تستطيع أن تكتب للصحافة مقالا عن العولمة؟

-نعم

فهذا جواب حرفي على السؤال، وهو يعبر عن القصد الخفي بإستلزام للجواب:

-نعم آستطيع، ونعم أوافق على أن أكتب

وذلك إعتمادا على السياق، وعلى العلاقة بين الطرفين (المحرر، الكاتب)، ولأنه يدرك مغزى السؤال، وأنه يطلب منه الكتابة بدلا من يسأله عن قدرته عليها، فهو يعرفها، ولذلك أجاب المرسل إليه "نعم" بالتصريح من جهة وبالمفهوم من جهة أخرى.

أما النوع الثاني فهو "الإستلزام"، وهو الإستلزام الذي ينتج عن خرق القواعد ويكون ذلك في سياق خاص، يحتاج كل من طرفي الخطاب فيه إلى معلومات إضافية، وبهذا فإنه أكثر تعقيدا في الإستدلال لمعرفة قصد المرسل.

فلو تلفظت الأم مع ولدها الذي أرسلته للتبضع في السوق بالخطاب التالي:

-"لماذا عدت"؟

فإنه يصعب معرفة القصد عن عدم معرفة السياق الذي تنتج فيه الخطاب، إذ يتأرجح الخطاب بين "الإستلزام النموذجي" بإعتبار أن الأم راعت التلفظ حسب قاعدة "الكم" فهي: تسأل عن سبب تجهله، فتعد صادقة في سؤالها، وبين الإستلزام المخصص "الحواري" بإعتبار الأم تستنكر على إبنها العودة، لتتحول دلالة خطابها من السؤال إلى الإنكار عليه فلا يرجح الدلالتين إلا بمعرفة السياق.[2]

1-ابن ظافر الشهري (عبد الهادي): إستيراتيجية الخطاب، مقاربة لغوية تداولية. دار الكتاب الجديد المتحدة، بنغازي ليبيا ط1، 2003، ص430.

2-محمود أحمد نحلة: الإتجاه التداولي في البحث اللغوي المعاصر، ص .189

ويتميز الإستلزام عند جرايس بأربع مميزات هي:[1]

1-الإستلزام متغير، والمقصود بالتغير أن التعبير الواحد يمكن أن يؤدي إلى إستلزامات مختلفة في سياقات مختلفة، فإذا ساألت طفل يحتفل بيوم ميلاده، مثلا: كم عمرك؟

فهو طلب للعلم، فإذا سألت السؤال نفسه للصبي عمره خمسة عشرة عاما، فقد يستلزم السؤال مؤاخذة له على نوع من السلوك لا ترضاه له، وإذا سألت السؤال نفسه لفتى يمنع من إتخاذ قرار ولا يخرج عن تعاليم الدين ومواصفات الأخلاق والأعراف، فقد يعني ذلك أنه من النضج ما يكفي بحيث يستطيع أن يتخذ قراره ويتحمل عواقبه.

2-الإستلزام يمكن تقديره Calculability، والمراد به أن المخاطب يقوم بخطوات محسوبة يتجه بها خطوة خطوة للوصول إلى ما يستلزمه الكلام، فإذا قيل:

-"الملكة فيكتوريا صنعت من جديد".

فإن الفرضية تبعد السامع عن قبول المعنى اللفظي، فيبحث عما وراء الكلام من معنى فيقول لنفسه: المتكلم يريد أن يلقي إلى خبرا. بدليل أنه ذكر لي جملة خبرية والمفروض في هذا المتكلم إنه ملتزم بـ «مبدأ التعاون" أي أنه لا يريد بي خداعا ولا تضليلا"، فماذا يريد ان يقول؟ لابد أنه يريد أن يخلع على الملكة بعض صفات الحديد كالصلابة، والمتانة، وقوة التحمل، وهو يعرف أنني أستطيع أن أفهم المعنى "غير الحرفي" "Non litéral" فلجأ إلى هذا التعبير الإستعاري.

3-الإستلزام ممكن إلغاؤه، ويكون بإضافة قول سيد الطريق أمام الإستلزام أو يحول دونه، فإذا قالت قارئة لكتاب، لم أقرا كل كتبك، فقد يستلزم ذلك عنده أنها قرأت بعضها، فإذا أعقبت كلامها بقولها، الحق أني لم أقرأ أي كتاب منها، فقد ألغت الإستلزام.

4-الإستلزام لا يقبل الإنفصال عن المحتوى الدلالي، أي أن الإستلزام الحواري متصل بالمعنى الدلالي لما يقال لا بالصيغة اللغوية التي قيل فيها بها فلا ينقطع مع إستبدال مفردات أو عبارات أخرى ترادفها، فإذا قالت الأخت لأختها: "لا أريدك أن تصعدي لغرفتي على هذا النحو".

فتقول الأخرى: "أنا لمشي على أطراف أصابعي خشية أن أحدث ضوضاء".

[1]- محمود أحمد نحلة: الإتجاه التداولي في البحث اللغوي المعاصر، ص190

فعلى الرغم من تغير الصياغة في قول الثانية، فإن ما يستلزم القول من عدم الرضا عن هذا السلوك لا يزال قائما. [1]

كانت هذه أهم الدراسات التداولية، والمتمثلة في نظرية الأفعال الكلامية والتي سبق وأن أسلفنا أن أوستين هو أول من وضع أصولها، كما أقام بناءها سيرل، ثم يأتي جرايس في تطوير وتوسيع هذه النظرية وذلك من خلال دراسته للمحادثات، ووضعه قوانين للخطاب وذكرنا لهؤلاء الثلاثة لا يعني أنهم الوحيدين (الذين ساهموا في بناء هذه النظرية الضخمة المترامية الأطراف، فقد أسهم فيها الكثير من الباحثين، ومن تخصصات أخرى حتى العرب أسهموا في ذلك وما زال الباحثون إلى حد الآن يدلون بدلوهم في هذه النظرية، فالدراسات تؤكد أن هذه النظرية لم تكتمل بعد.

وما نود أن نشير إليه أن أهم ما تنادي به هذه النظرية هي "دراسته اللغة في الإستعمال من لدن طرفي الخطاب (مرسل ومرسل إليه) وذلك ضمن سياق ومقام محدد.

وتعتبر الدراسات البلاغية في التراث العربي من بين الدراسات التي إهتمت بدراسة "اللغة في الإستعمال وضمن سياقات ومقامات متعددة، وسنحاول فيما يأتي من البحث أن نكشف عن الأبعاد التداولية لهذه الدراسات البلاغية، وذلك بالوقوف عند إهتمام البلاغين بكل من المتكلم والمتلقي (أي المرسل والمرسل إليه) والمقام، كما سنحاول المقاربة بين نظرية الأفعال الكلامية وما جاء في التراث البلاغي، ضمن ما عرف في "علم المعاني" بـ "الخبر والإنشاء".

الأفعال الكلامية عند العرب:

تتدرج ظاهرة " الأفعال الكلامية " ضمن مباحث " علم المعاني"، وتحديدا ضمن الظاهرة الأسلوبية المعنوية بـ " الخبر والإنشاء وبذلك يمكننا إعتبار " نظرية الخبر والإنشاء " عند العرب – من الجانب المعرفي العام – مكافئة لـ : مفهوم "الأفعال الكلامية" عند المعاصرين[2]، وهي معادلة لمفهومين: << الأفعال الكلامية >> و<< الأفعال المستدعات بالقول >> خصوصا: لا يهمنا هذا الإختلاف مادام إختلاف"عموم" و"خصوص" ولا يتعداهما

1– محمود نحلة: الاتجاه التداولي في البحث اللغوي المعاصر. ص: 191 –192.

2–مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب ص 49.

إلى الخصائص الجوهرية، وإنما مع معينا التام بوجود بعض الفروق الإبستيمولوجية والمنهجية بين النظريتين.

إذن، كانت دراسة هذه الظاهرة الأسلوبية ضمن مباحث" علم المعاني" الذي يقول فيه إبن خلدون: <<هذا العلم الحادث في...؟ بعد علم العربية واللغة، وهو من العلوم اللسانية لأنه متعلل بالألفاظ وما تفيده، وقصد الدلالة عليه من المعاني... ويبقى من الأمور المكشفة بالواقعات المحتاجة للدلالة عليه لأنه من تمام الإفادة، وإذا حصلت للمتكلم فقد بلغ غاية الإفادة في كلامه، وإذا لم تشتمل عليه منها فليس من جنس كلام العرب، فإن كلامه واسع ولكل مقام عندهم مقال يختص به بعد كمال الإعراب والإبانة>> [1].

فهذا العلم كما هو واضح من عبارة ابن خلدون (ت808م) يهتم بالتراكيب "الدالة المفيدة" دون غيرها، ويقول السكاكي مؤكدا هذا المبدأ (أي مبدأ الافادة) :<< أعلم أن علم المعاني هو تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة وما يتصل منها من الإستحسان وغيره ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره>>. [2]

ثم أوضح مفهومه خواص تركيب الكلام بقوله:<<وعنى نجاحية التركيب ما يسبق منه إلى الفهم عند سماع ذلك التركيب، جاريا مجرى اللازم له>>. [3]

ومن كلامه يتضح أن دراسة علماء المعاني مقتصرة على التراكيب "الدالة المفيدة"، أي التي لها دلالة مباشرة (حرفية) أو غير مباشرة (ضمنية) تفهم منها أو ملازمة لها، بتعبير السكاكي:<<والملاحظة أن علماء العرب عامة كثيرا ما كانوا يركزون على دعامة "الإفادة" في دراستهم للجملة والنص، إذ هي مناط التواصل بين مستعملي اللغة، فقد كانت مراعاتها من قبل علمائنا عنوانا على أي دراسة لغوية وظيفية جادة>> [4]

1- ابن خلدون: المقدمة. ج 2، الدار التونسية للنشر والتوزيع، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، دط، 1984، ص 604.

2- السكاكي: مفتاح العلوم: عبد الحميد هنداوي: دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط1، 2000، ص 247.

3 - المصدر نفسه، ص 248.

4- مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، ص: 51.

نجد أيضا محمد بن علي الجرجاني(ت729) يستند إلى القرنية التداولية الكبرى التي سموها " الإفادة " في تحديد موضوع علم المعاني اذ عرفه بأنه <<علم يعرف به كيفية تطبيق أحوال الكلام العربي على أحوال المعني محسب مقتضى الوقت>> [1]

وقد قسم البلاغيون العرب الكلام إلى كلام "خبري" وكلام "إنشائي"، يقول "ابن خلدون" في الكلام الخبري<<لا ترى أن قولهم (زيد جاءني) مغاير لقولهم (جاءني زيد) من قبل أن المتقدم هو الأهم عند المتكلم، فمن قال: جاءني زيد، أفاد أن اهتمامه بالمجيء قبل الشخص المسند إليه، ومن قال: زيد جاءني أفاد إهتمامه بالشخص قبل المجيء المسند، وكذا التعبير على أجزاء الجملة بما يناسب المقام من موصول أو مبهم أو معرفة وكذا التأكيد السنادي على الجملة، كقولهم : زيد قائم، وان زيدا قائم، وأن زيدا القائم، متغايرة كلها في الدلالة، وإن إستوت عن طريق الإعراب>>[2]

وما عرضه ابن خلدون يبرز إهتمام "علم المعاني" بدراسة "الإسناد" أي النسق الذي جاء عليه المسند والمسند إليه، لذا نجد في مؤلفاتهم عنوانا كبيرا يضم شتات هذه المباحث الإسنادية، وهي شديدة الصلة بالنحو، وسموه: أحوال الإسناد الخبري، وأحوال المسند، وأحوال المسند إليه.

وذلك في أهم الكتب البلاغية كالمفتاح "للسكاكي"، والتلخيص لـ: "القزويني"، والشراح الذين جاؤوا من بعدهما.

كما يشير ابن خلدون – في مقولته –إلى علاقة الكلام بـ "حال الخطاب" و"المقام" وذلك بإستعمال تركيب آخر لا يعود إلى إعتبارات نحوية، وإن الكلام في مجمله تتحكم فيه "عناصر التداولية" من مراعاة للخلفيات المشتركة بين المتخاطبين، ودور عناصر السياق والمقام المشترك بينهم، فمثلا: الإختلاف بين الأقوال الثلاثة: زيد قائم، إن زيدا قائم، إن زيدا القائم، راجع إلى المقام وحال المخاطب.

ويؤكم ابن خلدون أكثر علاقة الخطاب بالسياق وذلك من خلال عناصر لغوية لا يمكن معرفة دلالتها ومرجعيتها إلا بالعودة إلى حال الخطاب الذي قبلت فيه وهي المبهم والموصول، وأكد أنه ايا كانت المعلومات التي يحتويها الخطاب، فإنه يتضمن سلسلة كاملة

1– محمد بن علي الجرجاني: الارشادات والتنبيهات في علم البلاغة، القاهرة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر د.ط ص 100.

2– ابن خلدون: المقدمة، ص 1065.

من العناصر التي تشير إلى درجة حضور المتكلم والصورة التي يكونها عن المخاطب <<بأن الأول عن التأكيد، إنما يفيد الخالي الذهن والثاني المؤكد بـ «أن يفيد المتردد، والثالث يفيد المتكرر>> (1)

وإنطلاقا من هذه العبارة، يتوقف تحديد الدلالات على ما يوفره لنا " المقام" وقد أشرنا في المبحث السابق إلى أن علم المعاني إهتم بربط العلاقة بين بنية التركيب والمقام الذي قبلت فيه.

وإشتراط البلاغيين العرب حصول "الفائدة" لدى المخاطب <<يوافق ماهو متداول عند المعاصرين، فالتداوليون المعاصرون لا يدرسون " الأفعال الكلامية " مجردة عن سياقها الكلامي والحالي ،أو معزولة عن غرض المتكلم، وإنما يدرسون إنجازية تلك الأفعال ويعتبرونها " أفعال كلامية " إلا بشرط أن تتحقق هويتها الإنجازية في السياق غير الإستعمال ولا ينبغي لنا أن نفتر بكون بعض المعاصرين يحاولون وضع لائحة للأفعال الكلامية من دون ذكر أحيانا، لسياقها الكلامي أو الحالي، فإنما المرجع النهائي لأولئك التداوليين في تحديد مجالها الدلالي والتداولي لن يكون إلا في السياق وسياق الحال، و"قصدية " المتكلم، إذ هي من أكبر القرائن على فهم الغرض من الكلام ودلالته، ومن ثم فإننا نؤكد– هنا – إندراج الظواهر الأسلوبية عند العلماء العرب في إطار تداولي صريح>>(2)

ولو تأملنا نظرية " الخبر والإنشاء " عند علمائنا، لوجدناها لم تأتِ مكتملة، وإنما مرت بمراحل وتطورت إلى أن إستقرت على أسس علمية ونهائية عند "السكاكي"، وحتى مصطلح "الإنشاء" ذاته لم يكتب له الشيوع والإستقرار إلا في مرحلة متأخرة، فقد كان يستعمل مصطلح " الطلب " الذي جاء مصطلح " الإنشاء " كبديل له.

إضافة إلى أن المعايير المتخذة كأساس للتمييز بين "الخبر والإنشاء" تعددت واختلفت باختلاف العصور والمراحل، كما إختلفت أيضا الأدوات التحليلية، وتنوعها بين "منطقية" و"تداولية"، فلم يتحقق الإستقرار في معايير التصنيف وفي الجهاز والمفاهيم ككل، إلا في مراحل لاحقة، يعود الى إعتماد أدوات التحليل التي إصطنعها المناطقة العرب ثم الحقوا بها في مرحلة لاحقة، أدوات تداولية (3)

1– إبن خلدون: المقدمة، ص 1065.

2– مسعود صحراوي: التداولية عند علماء العرب، ص 53.

3– المرجع نفسه، ص 58.

كان مصطلح "الإنشاء" غائبا غيابا شبه تام في مؤلفات "عبد القاهر الجرجاني" فقد كان يعبر عن هذا المفهوم أو المصطلح بمصطلح آخر هو " الطلب ".

كما نلحظ أن علماءنا حتى بعد إستعمال مصطلح "الإنشاء" وشيوعه في مؤلفاتهم، فإذا لم يكن له مفهوم موحد عندهم، فاللاحقون من نحاة وبلاغيين، لم يتفقوا على مسمى واحد لـ: "الإنشاء"، والشاهد على ذلك رضي الدين الإستراباذي الذي يصرح بأن الجملة "غير الخبرية إما إنشائية نحوية، أم طلبية كالأمر والنهي، والإستفهام والتمني"[1]

وبذلك جعل " الإنشاء " قسيما " للطلب " فكلاهما يخالف الخبر، كما جعل لها "خبرا كلاميا " يشمل ما يعرف بـ" الفاظ العقود «، مثل: بعت، طلقت وبذلك يقارب ما يعرف بـ "الايقاعيات" باصطلاح سيرل: أي أن "الإنشائيات" عنده هي ما تنتمي إلى مجموعة "الايقاعيات" عند "سيرل" و"الطلبيات" عنده ما ينتمي إجمالا إلى مجموعة "الأمريات" عند سيرل.

أما الكتب البلاغية منذ الخطيب القزويني (ت739)، فقد صنفت تحت "باب الإنشاء" كل مالم يكن خبرا من الجمل المفيدة، وإستعمال هذا المصطلح، وذلك وفقا لما استقروا عليه.

1-مقاييس التمييز بين الخبر والإنشاء:

سبق وأن ذكرنا أن الجهاز المفاهيمي والمصطلحي لنظرية "الخبر والإنشاء" لم يكن مستقرا أو مكتملا واضح القسمات، فقد مر بمراحل إنتقلت فيها تلك النظرية من آراء وملاحظات متفرقة إلى أصول ناضجة ومباحث مؤسسة تأسيسا علميا ودقيقا، وذلك نتيجة لإعتماد البلاغيين في المراحل المتأخرة أدوات التحليل " المنطقي" و"التداولي".

وقد حدد مسعود صحراوي المعايير المعتمدة في التمييز بين "الخبر والإنشاء" في مختلف المراحل وقد صنفها إلى نوعين – وهي حسب تقديره –" معايير منطقية ومعايير تداولية" ويقول ":<<ولكنها كانت متداخلة في مصنفاتهم تداخلا شديدا، ومن ثم يصعب فصل الجانب التداولي منها عن الجانب المنطقي>> [2]

ومن بين هذه المعايير:

المعيار الأول: <<التمييز بحسب قبول الصدق أو الكذب>>

1- رضي الدين الاستراباذي: شرح الكافية في النحو: تح: رحاب عكاوي، بيروت، دار الفكر العربي، 2000، ص 24.

2- مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، ص 58.

إن التمييز الأشهر عندهم بين " الخبر والإنشاء" هو التمييز بحسب المعنى، فالخبر ماكان يقبل الصدق والكذب، والإنشاء خلافه، والنصوص المأثورة عن علماء هذه المرحلة من البلاغة العربية تؤكد إجماعهم على ذلك". [1]

وقد كان يرى السكاكي (ت626) أنه من غير الممكن تعريف "الخبر والإنشاء" (أو الطلب بحسب إصطلاحه) تعريفا جديا، وهو تعريف الشيء بأجزائه أو بلوازمه أو بما يتركب منهما ،تعريفا جامعا مانعا، فهو يقف مع من استغنوا عن تعريفهما، ويدل على ذلك بأنه <<في الخبر، فلان كأحد من العقلاء ممن يمارس الحدود أو الرسوم، بل الصغار الذين لهم أدنى تمييز، يعرفون الصادق من الكاذب، بدليل أنهم يصدقون أبدا في مقام التصديق ويكذبون أبدا في مقام التكذيب، ولولا أنهم عارفون الصادق والكاذب لما تأتى منهم ذلك ... وأما في الطلب، فلان كل أحد يتمنى، وسيستفهم، ويأمر، وينهى، وينادي.

يوجد كلا من ذلك في الموضع نفسه عن علم ..>>[2] ثم نذكر أن "الخبر" أو "الطلب" <<يفترقان باللازم المشهور، وهو إحتمال الصدق والكذب>> وهو يرى في هذا التمييز كفاية، فلم يحصل أن تشابه على أحد فأخبر بدل أن يطلب أو العكس، إلا أن هذه الدعوى مردودة لأن محمد بن علي الجرجاني (ت 729هـ) أورد نصوصا عن بعض السابقين في التشكيك في انشائية صيغ" التعجب" و"المدح" و"الذم" و"كم الخبرية"، والشاهد على هذا ما أورده في رواية عن أحد العراب مضمونها أنه لما يبشر بمولودة وقيل له: نعمت المولودة، قال: "والله ماهي بنعم المولودة" [3]

وعليه، فإن تصور أولئك العلماء في هذه المرحلة لـ "الخبر" هو الكلام التام أو المفيد أو الخطاب التواصلي الذي يقبل الصدق والكذب والإنشاء هو أيضا الكلام التام المفيد أو الخطاب التواصلي لكن الذي لا يقبل الصدق أو الكذب.

المعيار الثاني؛ <<التميز بحسب مطابقة النسبة الخارجية>>:

حاول البلاغيون في هذه المرحلة التخلي عن المذهب السكاكي في عدم إمكانية التعريف الحدي للخبر والطلب، فقد سعوا إلى تحليل مفهوم الخبر والإنشاء على نحو أكثر

1- السكاكي: مفتاح العلوم. ص 254.

2- السكاكي: مفتاح العلوم، ص 253/251.

3- محمد بن علي الجرجاني: الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، ص 102.

دقة فالقزويني (ت 793 هـ) مثلا: يميز بينهما من حيث إن الكلام <<أما أن يكون لنسبته خارج تطابقه أو لا تطابقه، أو لا يكون لها خارج، فالأول الخبر، والثاني الإنشاء>> [1]

وعليه فإن الخبر هو<< القول المتضمن نسبة معلوم بالنفي أو الاثبات >> [2]

كما يذهب سعد الدين التفتازاني (ت 792 هـ) إلى ذلك ايضا:

فيرى أن الكلام إن كان لنسبته خارج في أحد الأزمنة الثلاثة تطابقه، أي أن تطابق تلك النسبة ذلك الخارج بأن يكونا ثبوتيين؛ ولا تطابقه بأن تكون النسبة مفهومة من الكلام ثبوتية، والتي من بينهما في الخارج والواقع سلبية أو العكس، فهو خبر>> [3]

هذا الخبر في نظر "التفتازاني" أما "الإنشاء" بمقابلة المفهوم السابق، هو إلا يكون لنسبة خارج.

وبالتأمل لهذه النصوص نستنتج مفهوما ثان لكل من "الخبر" و"الانشاء" هو أن "الخبر" <<الكلام التام المفيد أو الخطاب التواصلي الذي لنسبته الكلامية نسبة الخارجية>> وأن "الإنشاء"، ليس له تلك النسبة، ويبدو أن هذا التعريف مستنتج من التعريف السابق، وذلك من خلال تحليل معنى الصدق والكذب، وبتفكيك التعريف الى مفردات كالأتي:

– النسبة كلامية تقبل الصدق والكذب ‘إذا كان لهما قرين أو المرجع، وهو النسبة الخارجية (في الواقع الخارجي عن اللغة) تطابق او لا تطابقه. –

– العلاقة بين هاتين النسبتين هي أن الأولى تصف الثانية وتصورها، سواء أكان التصوير (الوصف) مطابقا للواقع أم غير مطابق.

– النسبة الكلامية (الخطاب) لا تقبل الصدق أو الكذب إلا في حال وجود حقيقة مرجعية في الواقع يتم وصفها وصفا إما صدقا أو كذبا، وتسمى حينئذ خبرا.

– الكلام الإنشائي ليس له تلك الحقيقة المرجعية في الواقع الخارجي عن اللغة (النسبة الخارجية)، ومن ثم فنسبة الجملة الإنشائية نسبة لغوية محضة، وهي نسبة واحدة تسبب في نشوء نسبة ثابتة. [4]

1– الخطيب القزويني: الايضاح في علوم البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت، ص 16.

2– القزويني: تلخيص شرح المفتاح. تح: رحاب عكاوي، بيروت، دار الفكر العربي، 2000، ص 38.

3– سعد الدين التفتازاني: المختصر في شرح المفتاح للقزويني (ضمن شروح التلخيص)، القاهرة، مطبعة عيسى الباي الحليبي، 1944، ج1، ص: 60–61.

4– مسعود صحراوي: التداولية عند العرب. ص: 63–64.

2-الحجاج:

إنبثق من حقل المنطق والبلاغة والفلسفية يربط مفهومه بالفعل، وهو بحث من أجل ترجيح خيار من خيارات قائمة وممكنة يهدف دفع فاعلين معينين في مقام خاص إلى القيام بأعمال ازاء الوضع الذي كان قائما. [1]

فهو كما يبدو يقوم في مفهومه على صناعة الجدل والخطابة بل إن من الدارسين من عدة خطابة جديدة لا هو بالجدل ولا هو بالخطابة. [2]

وتتلخص مباحث الحجاج حديثا في الأعمال التالية:

ا-**الحجاج عند (بيرلمان وتيتكا):** الحجاج في نظرهما يتجاوز النظر فيما هو حقيقي مثبت محدد إلى تناول حقائق متعددة ومتدرجة، فمبعثه – إذن-هو الإختلاف وشرطه أن يقوم على موضوعية الحوار حيث يقف فيه الآخر المحاجج موقف الشريك المتعاون، لا موقف الخصم العنيد، من أجل تحقيق غاية، وهي إستمالة المتلقي لما يعرض عليه، وإن يجعل العقول تذعن لما يطرح عليها، وإن يزيد في درجة إذعانها بإعتماد وسائل التأثير في عواطفه وخيالاته، وإقناعه، وذكرأايضا أنه يريد ضربين:

الأول: تمثله البلاغة البرهانية، حيث يقوم على البرهنة والإستدلال، ويتبع الجانب الإستدلالي في المحاججة، يعتمد على العقل، وهو خاص بالفيلسوف، جمهوره ضيق.

الثاني: حجاج أوسع من السابق، يهتم بدراسة التقنيات البيانية التي تسمح بإذعان المتلقي، وغرضه دغدغة العواطف والإثارة والأهواء استنفار للسامعين، ويعتمد مبحث الحجاج حديثا على ما ذكر من أعمالها وعلى أعمال الأخرين نحو" تولمين"[3]

ب-**الحجاج عند "تولمين"**: إتضح مفهومه للحجاج من خلال بحثه المقدم في (1958 بعنوان Theuses of augument) الذي يهدف الى دراسة الأدوات الحجاجية في الإستخدام العادي للغة عرض ذلك بعدة رسومات بيانية على ثلاث مراحل ترجمها عبد الله صولة مع بغض التصرف على النحو:

1- محمد سالم ولد محمد الامين: مفهوم الحجاج عند (بريلمان)، مجلة عالم الفكر، دولة الكويت، مجموعة 28.

2- عبد الله صولة: الحجاج في القرآن الكريم، من اهم خصائص الاسلوبية، جامعة منوية تونس، ج 2001، 1، ص 31.

3- خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية، ص: 104.

م.....إذن: ن

نظر إلى أن

م (محمد جزائري) ..إذن: ن (هو ليس شيعيا)

نظر إلى أن / ض (أغلبية الجزائريين ليسوا شيعة) اللهم إلا إذا (س): (تشيع أثناء دراسته في إيران)

الثالث: يمثل حجابا أكثر دقة بالإضافة عند الأساس (ا)، والذي يبني عليه الضمان (ض) يكون على النحو ومثاله:

م ← إذن: ج، ن

نظر إلى أن: ص اللهم إلا إذا: ص

مثاله: م (محمد الجزائري) ← إذن ج: ن (من شبه المؤكد) ن

(إنه ليس شيعيا) نظرا إلى أن: ض أغلبية الجزائريين ليسوا شيعة، اللهم إلا أن (تشيع أثناء دراسته في إيران) يحكم أن: (ا) (نسبة الشيعة لا تكاد تذكر في الجزائر) [1]

3-التفاعل والسياق: " L'interaction contexte "

يعد موضوع لتفاعل من أهم المعارف الفلسفية اللغوية الحديثة التي أنشأت في كنفها التداولية، وهو مرتبط بفكرة أفعال الكلام، حيث ميز فلاسفة اللغة بين مصطلحي : الحدث والعمل، فالحدث له فلسفي محظ يشمل مفهوم تغيير الشيء من حال إلى حال أخرى في زمن معين، والعمل تغييرات جسمية مرئية، خارجية مدركة، ويمكن التحكم فيها، فمجال مفهومه مادي عملي بخلاف الحدث ذي المجال الفلسفي، و يبني فلاسفة اللغة على ذلك أن

1 – خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية: ص 108.

الحدث الذي يمثل سلوك الإنسان عن غيره هو التفاعل الذي يعرف بأنه (سلسلة من الأحداث يكون فيها عدة أشخاص هم المعنيون بوصفهم فاعلين) [1]

ويكون حينها الغرض من إستعمال اللغة هو إنجاز أحداث إجتماعية وتحقيق التفاعل بما حققته هذا الإستعمال من تأثير متبادل بين المرسل والمتلقي بالأدلة اللغوية في شروط صياغية ومقامية محددة.

ولقد تطور البحث التفاعل في بدايته مع اللسانيين الإجتماعيين نحو (فيرث، مالينوفسكي، هايمز) حيث إنتقد بعضهم اللسانيات التوليدية التحويلية لأنها عكفت على دراسة اللغة المنوال، وحدود الهدف من هذا الإتجاه في دراسة اللغة في محيطها الإجتماعي وتحليل ما ينتجه المتكلمون في مكان وزمان محددين وبطريقة معينة ولأغراض معروفة .... وبذلك يكون الكلام المتصل هو وحدة التحليل لديهم لا الجملة كما عند تشومسكي ثم تطورت بحوثه أكثر مع أعمال "اوستين" و"سيرل" وغيرهما الذين ربطوا مفهوم اللغة بمفهوم التواصل [2]

ومما تتضمنه بحوث التفاعل، دراسة القدرة التواصلية للمتخاطبين، وهي مجموع القواعد التي تمكن مستعمل اللغة الطبيعية من إنتاج عبارات لغوية سليمة وفهمها في مواقف تواصلية معينة قصد تحقيق أغراض معينة [3]

معتمدة في ذلك على قدرات الفرد النحوية وقدراته التداولية.

كما أنهم حددوا شروطا لفعل التواصل لخصها بعضهم في تسلسل الوحدات اللغوية داخل القول السياق اللغوي، والمقام التواصلي موقف كل من المتكلم والسامع من الخطاب.

وتعد دراسة السياق محل إهتمام القضايا التداولية جميعا، لأن تحليل الجمل يخضع إلى السياق وكذلك تحليل أفعال الكلام، وقوانين الخطاب، ومسائل الملفوظية والقضايا الحجاجية وغيرها، وربما يمكن القول بأن إهتمام الدرس التداولي كله ينصب في بحث مدى إرتباط النص بالسياق، ومما عرف بأنه:

""علامات شكلية تكون في المحيط اللساني الفعل"(....) .

---

1 – فان ديك: علم النص، مدخل متداخل الاختصاصات، ترجمة وتعليق محمد سعيد البحري، القاهرة، جمهورية مصر العربية، ط 1، 2001، ص 120.

2– خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية. ص 11–113

3 – أحمد المتكول: الوظيفة بين الكلية والنمطية، دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط، المغرب، ط 1، 2003 ص 19.

ويشمل مدلول المحيط اللساني، مستخدم اللغة (المتكلم والسامع) الحدث الذي ينجزه النظام اللغوي المستخدم مواقع مستخدمي اللغة أنظمة المعايير الإجتماعية والعادات والإلتزامات ... إلى غيرها من العناصر التي تحدد بنية المتطوق وتفسيره.

ولسعة هذا المدلول أحجمأ عن تحديده نحو قولهم: "السياق مفهوم مركزي يمتلك طابعه التداولي ولكننا لا نعرف أين يبدأ أو أين ينتهي، ولذلك تعددت أنواعه فذكروا:[1]

- السياق الظرفي أو الفعلي: يشمل هوية المتخاطبين ومحيطهم زمانيا ومكانيا.
- السياق الإقتضائي: يرتبط بحدس المتخاطبين.
- السياق التداولي: يتضمن الغايات الممارسة خطابيا.
- السياق اللغوي: (النص المساعد) هو مجموع الكلمات المجاورة التي تحدد مدلول الخطابات إلى جانب السياق الثقافي، العاطفي.... وغيرها.

وأهم ما عرض له الدارسون في موضوع السياق أنهم ميزوا بينه و بين المقام ،محضا ليس شائعا عند الكثيرين و هو أنهما بمدلول واحد ،فعرفوا المقام بقولهم:<< أنه مجموعة من العوامل التي يتعين على الفرد الإحتفال بها حتى يوفق في إنجاز فعله اللغوي، ومن عناصره :المشاركون في التبليغ ،مكان التفاعل ،القول مقاصد المتكلمين ....ويتلخص في مجموعة الشروط الإجتماعية و التاريخية و العوامل غير اللسانية ،التي يتحدد بمقتضاها إنجاز عبارة او عبارات في زمان و مكان ما ،فهو بهذا المفهوم يرتبط بشكل مباشر بالموضوع أو الفعل اللغوي أو الوضع العام المرتبط بالكلام و الذي أن غيبت عناصره لا يكون كلاما.[2]

4-الملفوظية: أشار إلى هذا المصطلح " شارل بالي «، في كتابه اللسانيات العامة واللسانيات الفرنسية، كما تحدث " أوستين " في كتابه سابقا عن دور الملفوظ.

وتقوم فكرة الملفوظية أساسا على جهود " بنفينيست " في شرح ثنائية " دوسوسير " (اللغة و الكلام) التي عرفت إحتجاجا من طرف اللسانيات (الحديثة عموما حيث إتساق اللسانيوت بداية من الستينات إلى إعادة تأويل هذه الثنائية، مأكدين بأنه في الملفوظية لا يؤخذ كل شيئ من الفرد، وبين " نيفينيستا" أن ثمة فرقا عميقا بين اللغة بوصفها نظاما من

1 - الجيلالي: دلاش: مدخل الى اللسانيات التداولية، ترجمة محمد يحياش، الجزائر، 1992، ص 40.

2 - خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية، ص 115.

(الأدلة واللغة بوصفها ممارسة يصطلح بها الفرد، وهذا المستوى الأخير هو الأساس تحليل الخطاب في نظره خلافا لمذهب " سوسير ".

ويؤرخ لها الدارسون في نهاية الخمسينات، حيث بدأ يتسع مجالها إطلاقا من التأملات المنهجية لـ: بنفينيست وياكسون، ولأنها تقوم على مفهوم الأداء الفردي للغة دون عزلة عن شروط التفاعل الأخرى، فإنها نشأت من التداولية ومن علاقة المتكلم باللغة.

ولكن (منقونر) يميز بين نشأنها وبين النشأة التداولية فيقول: " تهتم النظريات الملفوظية التي هي أساسا عمل اللسانيين الأوروبيين بشكل خاص، بطرق الخطابات المؤداة وكيفيات توصيلها (...) بينما التداولية، فقد تطورت أساسا في المجال الأنجلوسوكسوني حول إشكالية أفعال الكلام.

فهي في نظرة تيار موازي للتداولية، وشهدت تطورا أكبر في السبعينات حيث عرفت دراسات كثيفة، مما جعل حقلها في اللسانيات الحديثة مستقلا يتضح في أعمال أشياع (بنفينيست) وحلفه.

ومما ورد في تعريفاتها التمييز بين تعريف الملفوظ والملفوظية فالملفوظ هو الوحدات اللسانية الحاملة لمعلومات ليس على مستوى مرجع الخطاب بل على مستوى لافظه فهو على العموم ما تلفظ به المتكلموا الملفوظية هي عملية إنتاج الملفوظ مما في ذلك التواصل ذاته، وهو حالة خاصة من حالاته. [1]

ومما سبق يمكن الحديث عن مهام التداولية:

1-دراسة إستعمال اللغة فهي لا تدرس " البنية اللغوية " ذاتها ولكن تدرس اللغة عند إستعمالها في الطبقات المقامية المختلفة، أي بإعتبارها كلاما محددا صادرا عن متكلم محدد وموجها إلى مخاطب محدد باللفظ المحدد في مقام تواصلي محدد.

2-شرح كيفية جريان العمليات الإستدلالية، في معالجة الملفوظات.

3-بيان أسباب أفضلية التواصل غير المباشر، وغير حرفي على التواصل الحرفي المباشر.

4-شرح أسباب فشل المعالجة اللسانية البنيوية الصرفية، في معالجة الملفوظات.

1- خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية، ص 103 -104.

وعليه فإن بعض الدارسين يعولون على التداولية، في تحقيق مجموعة من الرهانات تعبر عنها الأسئلة التالية:

– كيف نصف الإستدلالات في عملية التواصل، علما بأن الإستدلالات التداولية غير المعقلنة في كثير من الأحيان؟

– ما هو نموذج التواصل الأمثل؟

– ما هي العلاقة بين الأنشطة الإنسانية الآتية: اللغة والتواصل والإدراك؟

وما هي العلاقة بين الفروع المشتغلة بهذه الأنشطة (أي علم اللغة، وعلم التواصل وعلم النفس المعرفي)؟ [1]

كذلك تهدف التداولية إلى تطوير نظرية أفعال الكلام، أي الأنماط المجردة للأصناف التي تمثل الأفعال المحسوسة والشخصية التي تنجزها أثناء الكلام واضعة بذلك، موضع السؤال التقابل بين اللغة والكلام ورافضة إعتبار هذا الأخير موضوعا غير قابل للدراسة المنهجية. [2]

روافد التداولية:

تميزت التداولية عن غيرها من العلوم اللسانية بكثرة مشاريعها و مواردها ، وذلك أعطاها مرونة في البحث وسعة في المدارك، و هذا صاحب كتاب " التداولية عند العلماء العرب " يقول: " ليس للدرس التداولي المعاصر مصدر واحد انبثق منه ،ولكن تنوعت مصادر استمداده إذ لكل مفهوم من مفاهيمه الكبرى، حقل معرفي إنبثق منه و(الأفعال الكلامية) مثلا مفهوم تداولي منبثق من مناخ فلسفي عام هو تيار(الفلسفة التحليلية) بما احتوته من مناهج و تيارات و قضايا و كذلك مفهوم (نظرية المحادثة) الذي إنبثق من فلسفة غرايس " Grice " و أما نظرية الملائمة فقد ولدت من رحم علم النفس المعرفي وهكذا....." [3]

ويوجد لذلك إعتبارات تداولية عند نمطي من المفكرين، وبالدرجة الأولى عند أولئك الذين يتشبثون بالقيم الحقيقية للجمل، الهادفة فيما يتعلق بلغة كل قوم، وبالجمل التي نطلق

---

1 – حافظ اسماعيل علوي: (التداولية علم استعمال الثقة)، ص: 40.

2– مسعود صحراوي: التداولية عند علماء العرب، ص 26.

3– المرجع نفسه، ص: 17.

عليها " اللغات الطبيعية " وبعوائق حضور " الأنا " و "الأنت " وهو حضور لا يستوجب الكشف عنه وتحديد معناه.

ونصادفها على شاشة كل الأدوات التي يلعبها سياق تبادل المقاصد، في إنجاز المضمون الدال، ويمثل هؤلاء بدرجات متفاوتة المناطقة، الفلاسفة مثال " فيرج "،"روسل" و"كارناب" ويتطرق جلهم إلى البعد التداولي أي إلى الأخذ بعين الإعتبار دور المتكلمين والسياق كشيئ يتطلب الإلمام به، ومن هنا فإما أن على اللغة الشرعية للعلوم أن تتخلى كما عند " فريج " و"كرناب"، وأما يتوجب إمتصاصها عبر التنحية والتعبئة لها كما عند" روسل " وأما أن علينا معالجتها أحيانا بحبل مصارعة الجيدوا كما عند " مونتاغ " وغوشيه". [1]

أما في الدرجة الثانية فتظهر التأملات القريبة من التداولية عند أولئك الذين يهتمون منذ أمر بعيد، بآثار الخطاب على المتكلمين والمستمعين من سيولوجيين ومعالجين نفسانيين ومختصين في البلاغة، وممارسي التواصل اللساني، تحليل الخطاب أمثال "بيرلمان" و"ديكروبوردبو «.... وهم عامة من مصادر التداولية ومنها:

1-الفلسفة التحليلية:

عندما ألقى الفيلسوف " جون أوستين " محاضرات " وليام جيمس " عام 1955 لم يكن يفكر في تأسيس إختصاص فرعي للسانيات فلقد كان هدفه تأسيس إختصاص فرعي للسانيات فلقد كان هدفه تأسيس اختصاص فلسفي جديد هو: فلسفة اللغة كانت الغاية بقية المحاضرات التي القاها " اوستين " سنة 1955، وضع أحد أسس الفلسفة التحليلية " الأنجلوسوكونية " في تلك الحقبة موضوع سؤال وهو أساس مفاده أن اللغة تهدف خاصة إلى وصف الواقع.

كما نجد أثر فلسفة اللغة عند " سيرل " في كتابه " الأحداث الكلامية " مدخل إلى فلسفة اللغة، بعد أن إنتقاه من " أوستين " أضفى نوعا من الإنتظام على أفكار أستاذه. [2]

2-اللسانيات النفسية:

1- حفناوي يعلي: التداولية البراغماتية الجديدة خطاب ما بعد الحداثة، مجلة اللغة والادب، مجلة اكاديمية محكمة يصدرها معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر، العدد: 11، جانفي 2008.

2- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص 18.

فضلا عن ذلك تمتلك التداولية علاقات هامة وحيوية مع اللسانيات النفسية، فهناك علاقة بينها وبين علم النفس الإدراكي، وخصوصا نظريات معالجة إنتاج اللغة وتطور مفاهيم القوة الإنجازية والتخمينات والإقتراضات المسبقة. [1]

3-علم الدلالة التوليدي:

لقد برز علم الدلالة التوليدي بريادة " روس " و"مكاولي" و" ليكوف " داخل النحو التوليدي التحويلي، وقد تصوروا أن المبدأ الأساسي هو أن المكون القاعدي الأساسي، في القواعد التوليدية التحويلية مرتبط مباشرة بالبناء الدلالي.

وكان من الطبيعي لهذا التصور أن يدمج النحو بالمعنى بحيث لا يمكن في نهاية المطاف فصل الواحد عن الآخر، حيث تبدي علم الدلالة مجرد المستوي الأعمق من النحو وهذا الوضع الذي قاد المعني إلى قلب القواعد وأدى إلى إدراج إهتمامات التداولية ضمن الدلالة، وعن طريق القياس كجزء من علم النحو، بدأ التعامل مع المعني كاملا ضمن شروط تشكيلية (التراكيب العميقة). [2]

4- اللسانيات الاجتماعية: هناك نوع من التفاعل بين التداولية واللسانيات الإجتماعية في حقول إهتمام مشترك، فقد ساهمت الأخيرة في مجالات معينة من التداولية ،وخصوصا في دراسة المفردات التأثيرية الإجتماعية وأفعال الكلام وإستعمالاتها، هذه أغلب المناهل الكبرى التي نهلت التداولية منها أبحاثها ويكاد يرى جيدا على العكس من ذلك إلى أي حد تكون التداولية مفترق طرق، غنية لتداخل إختصاصات اللسانيين و الناطقة والسيمائيين والفلاسفة والسيكولوجيين ،فنظام التقاطعات هو نظام للإلتقاءات و الإفتراقات ففي إتجاه "بيرس" و"موريس" و "كارناب و موريس سيرك" و إتجاه "ميد- موريس" و"ميدبايتون" تظهر التداولية كأحد مكونات السيميائية مكتسبة مظهرا تجريبيا وطبيعيا وأساسيا، وعلى العكس من ذلك فالتداولية تدخل في عصر التقعيد إنطلاقا من "بارهيل".

1- آن روبل جان موشلار: التداولية اليوم، علم جديد في التواصل، ص: 29.

2- قويدر ثنان: التداولية في الفكر الانجلوسوكسوني المنشأ الفلسفي والمال اللساني، مجلة اللغة والآداب، اكاديمية محكمة يصدرها معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر، العدد 17، والادب محكمة يصدرها معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر، العدد 17، 2006، ص 22.

إما أن تكون التداولية منطقية وشكلية، فقد أثار هذا جدلا وليس هذا كل شيء، فالتداولية تستقبل ميراث لسانيات التلفظ، كما أن وراءها أخيرا مجموع مكتسبات الحركة التحليلية في الفلسفة وبطريقة مباشرة أكثر، وأكثر ظهورا لتحليل اللغة العادية.

لقد تولدت التداولية ونمت عبر إختلافات وتوحيدات متلاحقة ليست وحدتها اليوم مضمونة كتواجد كثير من الطرق المتسلبقة في عراك بناء [1]

علاقة التداولية بالاختصاصات الأخرى:

ا-**علاقتها باللسانيات** : أن موضوع التداولية : كما في اللسانيات هو اللغة ،غير أن طريقة المقارنة في كلتيهما مختلفة، وهذا التداخل المبدئي هو ما حدا بأحد فلاسفة اللغة المحدثين "رادف كارناب" يصف التداولية بأنها قاعدة اللسانيات أو أساسها المتين الذي تستند إليه ،أي أنها حاضرة في كل تحليل لغوي، موجودة معها قريبة لها، فبمجرد أن ينتهي عمل اللساني في دراسة اللغة (البنية) يظهر إسهام التداولي في تملي الأبعاد الحقيقية لتلك البنية المعلنة المغلقة، وتنفتح من ثم على الأبعاد النفسية و الإجتماعية والثقافية للمتكلم والمتلقين و الجماعة التي يجري فيها التواصل، مع إحتساب مجموع السنن التي يحكمه، وهذا ما يقنع التداولية فعلا إستطالت اللسانيات[2]

ب-علاقتها بعلم الدلالة: يمثل علم الدلالة فرعا من فروع علم اللسان الحديث وبذلك فعلاقته لا تخرج عن علاقة التداولية باللسانيات المذكورة سابقا، ويرجع أفرادها بهذا الحديث إلى سببين:

الأول: كل من التداولية وعلم الدلالة، يبحث في دراسة المعنى في اللغة، ومن الضروري بيان حدود الإهتمام بالمعنى في علم الدلالة، وحدود الإهتمام به في التداولية، مع أن هذه العلاقة يشوبها كثير من الغموض، لذلك فـ: "أن التمييز بين السيمانيكية والبراغماتية ينطوي على ظلال رمادية في التطبيق العملي حيال تحليل المعنى الذي تؤديه اللغات"، وهما وأن اشتركا في الموضوع (دراسة المعنى)، فقد يختلفان في العناية ببعض مستوياته.

1- مسعود صحراوي: التداولية عند علماء العرب، ص 23.

2- نواري مسعودي ابو زيد: في تداولية الخطاب الادبي، ص: 21.

الثاني: من الدارسين من يعد التداولية امتداد للدرس الدلالي [1] وإذا كان منشأ الإشكالية الأولى فيما بين التداولية [2] والسانيات، نابعا من صعوبة ضبط حدود مجال دراسة كل منها، فإن تداخل التداولية بعلم الدلالة مرده إلى أن كلا منها يتناول المعنى الذي هو زبدة التواصل، وعلى الرغم من هذا التداخل فإن "شارل موريس" هو أول من حاول إدخال نوع من المقابلة المفضلة إلى التمييز بين مجالات ثلاثة في دراسة اللغة:

ا-**المجال اللغوي والتركيبي:** ويتعلق الأمر هنا بمجموعة القوانين التي تضبط عملية الصحة النحوية للكلام من أجل أن يكون مقبولا "لدى مستخدمي اللغة المستعملة في التركيب"[3]

ب-المجال الدلالي:

ويدرس مجموع العلائق القائمة بين المعاني والأشياء التي تعينها في إطار سياق اللغة.

ج-المجال التداولي: وهو الذي يدرس علاقة العلامات باستعمالها، ومقاماتها وأطراف التداولية، أو هو يعنى بدراسة العلاقة بين اللغة وبين الناطقين بها، والمؤولين لها.

ح-علاقاتها باللسانيات الاجتماعية: تشترك اللسانيات الإجتماعية في ظروف نشأتها ومن خلال هذا الإشتراك يبدو أن للتداولية تداخل كبيرا مع اللسانيات الإجتماعية بين المشاركين في الحديث على موضوعه، وبيان مراتبهم وأجناسهم، وأثر السياق غير اللغوي في إختيار التنوعات اللغوية البارزة في كلامهم.

د-علاقة باللسانيات التعليمية:

لقد عرفت التعليمية أو صناعة التعليم ثراء كبير في العصر الحديث، حيث تأكد بأن التعليم يقوم على تعليم البنى اللغوية دون الممارسة الميدانية التي تسمح للمتعلم بالتعرف على قيم وأقوال وكميات الكلام، ودلالات العبارات في مجال إستخدامها.

إلى جانب إغراض المتكلم ومقاصده، التي تتضح إلا في سياقات مشروطة.

وتجاوز تعليم مهمة التلقين لتحصيل كفاءة إلى مهمة تحصيل الأداء بتوفير حاجات المتعلم والإقتصار على تعليمه ما يحتاج إليه، والإستغناء عما لا يحتاج إليه من أساليب

1- خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية، ص 127-128.

2-نواري مسعودي المرجع السابق. ص 21-22.

3- خليفة بوجادي: المرجع السابق، ص 132-133.

وشواهد تثقل ذهنه، كنا أن البحوث التداولية أسهمت في مراجعة مناهج التعليم. [1]

هـ-علاقاتها باللسانيات النصية وتحليل الخطابات:

يكاد لا يختلف مصطلح الخطابات عن مصطلح النص وربما رادفه في بعض الإستعمالات وإن كان في الخطاب إيحاء بأن النص يتجاوز كونه مجرد سلسلة لفظية بها قوانين لغوية، إلى الظروف المقامية.[2]

وهو أكثر دلالة على الإستعمال والإستخدام من النص، وتتجاذبه الدراسات اللسانية إلى جانب السيميائية والأدبية، وبهذا المفهوم حقل اللسانيات النصية، لأنه يقوم على "دراسة الإستعمال الفعلي للغة، من خلال متكلمين فعليين، في مقامات فعلية.

ومجال اللسانيات النصية يتجاوز دراسة الخطاب بعده نصا، إلى عده نشاطا فاعليا أساسا، يعتمد المعارف المقامية السياقية.

إن الدرس التداولي درس غني وثري، ويشكل حلقة متقدمة في مسيرة الدرس اللساني ولكنه درس مترامي الأطراف، متداخل المسائل، فكثير ممن كتب فيه عابه ضعف الترتيب وغياب التسلسل النطقي للفكر لأن كثيرا ممن دخل مجال البحث التداولي، فبعض ما هو مكتوب فيه فنسج على منواله، ونسج من أفكاره، من غير أن يدرك تعليلات فكره وتناسب مسائله، لذا فإنه يجب العمل على هذا الوافد الجديد لأنه يريد فيه ضبط وتقعيدا وتصنيفا لتغدو مسائله متلاحقة ثم الإستفادة منها بشكل أكبر [3].

1 – خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية. ص 132 – 133.

2– احمد متوكل: قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، بنية الخطاب، دار الامان للنشر والتوزيع، الرباط، المغرب، ط1، 2001، ص 16.

3 – أحمد المتوكل: قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، بنية الخطاب، ص: 17.

المبحث الثالث: البلاغة .

1-مفهوم البلاغة:

ا-لغة:

لغة هي الوصول والإنتماء، يقال بلغ الشخص بلاغة، إذا وصل بكلامه إلى ما يريده له من إمتاع وإقناع [1]

ب-إصطلاحا:

"تأدية المعنى الجليل واضحا بعبارة صحيحة فصيحة، لها في النفس أثر خلاب مع ملاءمة كل كلام المواطن الذي يقال فيه، والاشخاص الذين يخاطبون"([2])

ويقول القزويني في تعريفها: "البلاغة في الكلام لمطابقته الحال مع فصاحته... فالبلاغة راجعة إلى اللفظ باعتبار المعنى بالتركيب"[3]

كما أنها في الإصطلاح البلاغي تختلف بإختلاف موصوفها، وموصوفها إما الكلام وإما المتكلم، يقال هذا الكلام بليغ، وهذا متكلم بليغ، ولا توصف بها الكلمة، فلا يقال هذه كلمة بليغة، لأن الكلمة المفردة لاتكون معنى كاملا يمكن تبليغه فلا توصف بالبلاغة [4]

2-أهمية دراسة البلاغة:

لأن البلاغة علم وفن، نظرية وتطبيق، تقنية بلاغية وكلام بليغ، كان لها من الفضل ما يقودنا الى دراستها، خاصة إذا علمت أنه بعدما تكون البلاغة غاية تأتي البلاغة وسيلة لذلك فأهمية دراسة البلاغة هي: "أن الناضر في هذه العلوم والمحصل لملكتها، يعرف إعجاز القران الكريم معرفة يقينية فيكون مؤمنا عن بنيه، كما أن المتمكن من أصولها وأحكامها يلمس بنفسه دقائق العربية وأسرارها ويدرك مراتب الكمال ومزايا صوره شعرا ونثرا، وبعبارة أخرى يصير ناقدا واعيا، كذلك أن الدارس لها الخبير بضوابطها وقوانينها إذا أراد أن يقول شعرا أو نثرا في أي غرض يستطيع أن يجد من أمره رشدا فيصيب الهدف ويدرك القصد، ويأتي بما يطابق الحال من الألفاظ والتراكيب ويهتدي إلى المستجاد من الكلام

1- عبد العزيز قليقلة: البلاغة الاصطلاحية، دار الفكر الغربي، القاهرة، مصر، ط3، 1992 م، ص 30.

2 - على جازم ومصطفى أمين: البلاغة الواضحة، البيان المعاني البديع، دار المعارف، د ط، دت، ص 8.

3 - فضل حسن عباس: البلاغة فنونها وافنانها، دار الفرقان للنشر والتوزيع، الأردن، ط 4، 1997، ص 85 86.

4- عبد العزيز قليقلة ، المرجع السابق ، ص 30.

والمختار من القول لأن معه مصباحه الذي يستضيء به، ويسير على هديه، وبعبارة أخرى يصير أدبيا مبدعا[1] فالبلاغة درس قديم ومجال مفتوح وواسع في الدراسة الحديثة.

3-علاقة التداولية بالبلاغة:

تعد البلاغة درس يعمل على بحث ودراسة التراث البلاغي قراءة عصرية تستثمر بعض المناهج اللسانية المستحدثة، التي تعرف البلاغة بأنها: <<فن القول بشكل عام أوفق الوصول الى تعديل موقف المستمع او القارئ>> [2]

اما بالنظر إلى البلاغة الحديثة فتعرف بأنها:<<نظرية الحجاج التي تهدف إلى دراسة التقنيات الخطابية وتسعى إلى إثارة موالاة عقول الناس لأفكار معروضة عليهم للقبول أثارة والبلاغة الجديدة تفحص أيضا الشروط التي تسمح للحجاج بأن يبدأ ثم يتطو، كما تفحص الأثار الناجمة عن هذا التطور>> [3]

هذا التعريف يبين إلى مدى تمثل البلاغة الجديدة إستمرار للبلاغة الكلاسيكية وإلى أي مدى تختلف عنها. يعبر الباحث "لوسبرج" البلاغة نظاما له بنية من الأشكال التصورية واللغوية يصلح لأحداث التأثير الذي ينشده المتكلم في موقف محدد، ويرى "ليتش" أن البلاغة تداولية في صميمها إذ أنها ممارسة الإتصال بين المتكلم و السامع بحيث يحلان إشكالية علاقتهما بإستخدام وسائل محددة للتأثير غير أن دارسي التداولية يرون ضرورة تضييق مجال البلاغة بإعتبارها أداة ذرائعة، فالتداولية إذن قاسم مشترك بين أبنية الإتصال النحوية و الدلالية و البلاغية [4]، ثم نمت التداولية وتطورت وتوسع مجال إهتمامها بعد أان كانت مجالا من مجالات السيمياء و أصبح لها رواد كثر من لسانيين و مناطقة أسهموا في تطويرها بطريقة مباشرة أو غير مباشرة[5].

فالتداولية بوصفها علما يدرس النصوص المنتجة في سياقات تواصلية معينة تفتح المجال للباحث لكي يتفهم الدلالة العامة وتفرعاتها، في ضوء المتغيرات اللغوية، مع التركيز على العوامل التي تؤثر في الإختبارات اللغوية، وربط ذلك بالسياق الإجتماعي الذي يتطلب

1- عبد العزيز قليقلة: البلاغة الاصطلاحية، ص 20.

2- نعمان بوقرة: اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، علم الكتب الحديثة، ط1، 2009 م، ص 166.

3- صابر الحباشة: مغامرة المعني من النحو الى التداولية، صفحات للدراسة والنشر، ط1، 2011، ص 29.

4- نعمان بوقرة: المرجع السابق ص 166.

5- مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، ص 26.

فهمه وكشف مقوماته في فهم متطلبات الفلسفة التحليلية وعلم النفس المعروف وعلم التواصل والسيمياء [1].

كما أنه بالنظر إلى المفاهيم التي قدمت للتداولية، نرى بأن البلاغة تداولية في جوهرها كونها تهتم بكيفية إنتاج النص لدى المتكلم، وآلية فهمه لدى السامع ومدى مراعاة الظروف والأحوال الملتبسة بإنجازه، وذلك أنه تأخذ بعين الإعتبار وضع المتكلم أثناء إصدار الحدث الكلامي و حال السامع وهيئته وتأثير العناصر السياقية والمقامات المختلفة فكل هذا من صميم بحث التداولية، سواء كان ذلك عند الأصوليين أو البلاغيين أو اللغويين، فاللغة عندهم نظام محكم البناء تشكل لبناته ألفاظا وتراكيب تضمن التعبير بدقة عن المعاني المختلفة، وإستعمالها يرتبط إرتباطا وثيقا بأدائها التواصلي.[2]

كما إهتم القدماء في دراستهم اللغوية بالسامع واعتبروا في ذلك المخاطبة مع مراعاة دور المتكلم في صياغة الخطاب وانتاجه، فإهتموا بذلك بالعناصر الفاعلة في الإبداع وبمعيار الصدق والكذب في الأساليب والتمييز بين الحقيقة والمجاز، وكل هذه الأمور تعبر عن التفكير التداولي لدى اللغويين العرب. [3]

4-إسهامات الجاحظ للبلاغة:

لا يمكننا المرور في الدرس البلاغي دون الإشارة إلى الجاحظ (ت255) لدراسته شؤون البيان والبلاغة فيؤلف كتابه <<البيان والتبيين>> في أربع مجلدات كبار جامعا فيه ملاحظات العرب البيانية وبعض ملاحظات الأجانب وسجل كثيرا من ملاحظات معاصريه خاصة المعتزلة، ونراه يطيل الوقوف عندما أثاره بشر بن المعتمر من صفات الألفاظ والمعاني ووجوب مطابقة الكلام لسامعيه. [4]

1- نعمان بوقرة: ملامح التفكير التداولي البياني عند الاصوليين، بحوث ودراسات اسلامية المعرفة، السنة الرابعة عشر العدد 54، خريف 2008 م، ص 138.

2 - نسيمة نابي: مناهج البحث اللغوي عند العرب في ضوء نظريات اللسانية، مذكرة لنيل شهاد الماجستير، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، السنة الجامعية 2010 م، 2011 م، ص 53.

3 - المرجع نفسه، ص 54.

4 - شوقي ضيف: البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف، القاهرة مصر، ط9، 1965 ص 46.

فتراه تارة مؤيدا لما جاء به وتارة أخرى معارضاأو شارحا وتارة أخرى يزيد على ماجاء به بشر وله مواقف عديدة أخرى لا يسمح المقام لذكرها، كفكرة الإيجاز والإطناب ومواضعها والصورة البيانية في كتاب"الحيوان".

وقد ظلت كتابات الجاحظ وملاحظاته في البيان والبلاغة معينا لا ينفذ لمد الأجيال التالية بكثير من قواعدهما، كل يستمد منها حسب قدرته ومهارته الذهنية [1]

ولعنا لا تبالغ إذا قلنا إن الجاحظ يعد مؤسس البلاغة العربية فقد أفرد لها لأول كتابة "البيان والتبيين" ونثر فيه كثيرا من ملاحظاته وملاحظات معاصريه وتعمق وراء عصره، فحكى آراء العرب السابقين، والتمس آراء بعض الأجانب، أو قل سجلها وقد مضي بنشر في كتابه "الحيوان " تحليلا لبعض الصور البيانية في الذكر الحكيم". [2]

5-مفهوم البلاغة في الثقافة العربية:

يستطيع المتتبع لتاريخ البلاغة العربية أن يميز في مسارها الطويل محطات ثلاث أساس هي: "البيان" الذي ينصرف إلى بلاغة الإقناع، ويمثلها في نظامها البلغي تراث الجاحظ. و"البديع" الذي ينصب على بلاغة التخييل وأبرز روادها ابن المعتز، الذي صنف كتابا بالعنوان نفسه، ثم محطة" البلاغة العامة" التي تجمع في ضفيرة واحدة بلاغة الإقناع والتخييل على حد سواء.

- بلاغة الإقناع << البيان >>:

يمكن لمتتبع تاريخ البلاغة العربية أن يلحظ أن << البيان >> مصطلح ظهر قبل أن تتبلور " بلاغة " وتستقر مفهوما واضح المعالم في التراث العربي.

يثير مصطلح " بيان " كثيرا من اللبس عند القارئ غير المتخصص، الذي يقود أن يعتبر << البيان >> واحد من أقسام ثلاثة تكون مجتمعة (علم البلاغة)، وهي << المعاني >> و<<البيان>> و<<البديع>>، والواقع أن الدراسات البيانية لم تعرف هذا التقسيم الثلاثي لعلوم البلاغة إلا في مرحلة متأخرة، بعد أن غلب على البالغين المتأخرين هوس التقسيم والتصنيف ويمكن تعيين كتاب << مفتاح العلوم >> للسكاكي بداية لهذه المرحلة و إلا فإن مصطلح << البيان >>، كان قبل ذلك يشمل كل الوسائل التي تكون ظاهرة << بلاغة >> بل و كل ما

1- شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، ص 57.

2 - المرجع نفسه، ص 60.

يمكن أن يتحقق به << التبليغ >>، كما يمكن أن يستفاد من إشارات ابن خلدون في الفصل الذي عقده لـ << علم البيان >> من مقدمته، حيث يذكر أن << البيان >> شكل الإصطلاح الأكثر شهرة عند المشتغلين بعلوم اللسان العربي، فقد كان يأتي عندهم على رأس اللائحة المصطلحية التي تضم أصناف هذا العلم، فتحت << البيان >> يندرج كما أشار ابن خلدون << علم البلاغة >> و << علم البيان >> و << علم البديع >> .[1]

يؤكد هذا الفهم و يرجحه ما نجده عند ضياء الدين ابن الأثير، وهو بلاغي متأخر ....من توسيع لمفهوم << البيان >> تماما مثلما كان عند سابقيه، وهو يمكن إستبانته من قوله << وعلى هذا فموضوع علم البيان هو الفصاحة والبلاغة و صاحبه يسأل عن أحوالهما اللفظية و المعنوية >> [2] فهذا الكلام دال على أن << البيان >> عند ابن الأثير مفهوم جامع يضم بين أنحائه << البلاغة >> برمتها، كما يشهد على ذلك أنبناء كتابه << المثل السائر >> على مقالتين: الأولى في الصناعة اللفظية، والثانية في الصناعة المعنوية [3]، وفيهما أدخل ابن الأثير جميع الأوجه البلاغية، مثل السجع والتجنيس والإستعارة والإطناب والكناية ... وربط ذلك كله بصناعة تأليف الكلام من المنظوم والمنثور.

ولقد لحظ محمد مفتاح أن تداول مصطلح << البيان >> قبل أن تظهر تسمية << بلاغة >> ليس مقصورا على الدراسات البيانية المشرقية، ولكنه ظاهرة شائعة في الدراسات البيانية المغربية أيضا، ف << المتتبع للدراسات البلاغية العربية في المغرب يجد، حقا أن الإسم الذي كان شائعا بين أوساط المتعلمين المغاربة هو أسم << البيان >> و<< علم البديع >> بإسم << علم البيان >> [4]

إن لفظة << بيان لم تكن متميزة عن غيرها من ألفاظ العربية قبل القرن الثالث للهجرة لكن تشغيل " الجاحظ " لها في كتابه <<البيان والتبيين>> سيرفعها إلى مستوى << المفهوم>> الذي يأتي على رأس لائحة مصطلحية للدلالة على علم جديد تخلق وتبلور ثم آن الأوان لتوصيفه وتسميته، فإن كان ابن المعتز قد أفرد مصطلح << بديع >> للدلالة على أوجه

1- ابن خلدون: المقدمة، دار القلم – بيروت، ط 6 –1986، ص 551.

2- ضياء الدين ابن الاثير: المثل السائر، تح: احمد الحوفي ويدوي طبانة، دار النهضة مصر للطباعة والنشر القاهرة (د. ت) ج 1 ص 37.

3- المرجع نفسه، ص 35.

4- الجاحظ: البيان والتبيين، ج1، ص 69.

العبارة الشعرية والتمثيل لها فإنشغل، تبعا لذلك، بإحصاء الأنواع البديعية والتمثيل لها، فإن << بيان >> الجاحظ معنى أساسا بـ << التبليغ >> بما هو << كشف للمعنى >> للقارئ أو السامع بغرض إقناعه وإفهامه يقول: << البيان إسم جامع لكل شئ كشف للإقناع المعنى وهتك الحجاب دون الضمير حتى يقضي السامع إلى حقيقته، ويهجم على محصوله كأئنا ما كان ذلك البيان، ومن أي جنس كان الدليل، لأن مدار الأمر والغاية التي يجري إليها القائل والسامع إنما هو الفهم والإفهام، فبأي شئ بلغت الإفهام وأوضحت المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضع >>.

إن البيان عند الجاحظ << إسم جامع >> تندرج تحته جميع أصناف الدلالة أو << جودة البيان >> التي يحصرها الجاحظ في خمسة لا تزيد ولا تنقص:<< وجميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد أولها: اللفظ ثم الإشارة تم العقد ثم الخط ثم الحال التي تسمى نصبه >> (1)

إن <<بيان>> الجاحظ هو بلاغة الخطاب القائمة على المقام ومراعاة أحوال المخاطبين وهو اعتبار وجه الجاحظ إلى التنظير لمقومات الخطاب الإقناعي انطلاقا من مفهوم المقام الخطابي>>.

يقول: <<والمعنى ليس يشرق بأن يكون من معاني الخاصة، وكذلك ليس يتضح بأن يكون من معاني العامة، بل مدار الشرف على الصواب وإحراز المنفعة مع موافقة الحال وما يجب لكل مقام من مقال>>(2)، ومن الوقائع التي يؤكد ذلك أن الجاحظ يستعمل << البلاغة>> و<<الخطابة>> بمرونة تقترب من الترادف كما يظهر من قوله مثلا: <<... إذا كان الخليفة بليغا والسيد خطيبا>>(3)، يضاف إلى ذلك ما أظهر الجاحظ من كتابه فائقة باثبات النصوص الخطابية وتعقب أخبار الخطباء، وهو ما ينهض دليلا على أن الجاحظ متوجه في هذا الكتاب إلى وضع الأسس العامة لنظرية الخطاب الإقناعي، لقد كان الجاحظ يقدم وسيلة للحوار في عصره بين الفرقاء وفي المجال الفكري والسياسي، الحوار من خلال الرصيد

1- الجاحظ: البيان والتبيين، ج 1، ص 67.

2- المرجع نفسه، ص 91.

3 - المرجع نفسه، ص 64.

الخطابي العربي من جهة، وأحوال المخاطبين من جهة أخرى، المهم كيف يكون الخطاب ناجحا، فعلا >> (1)

إن عناية الجاحظ بـ << البيان >> نابعة من عناية بوظيفية الخطاب ونجاعته، حيث المدار على الغايات والمقاصد التي يرسمها المتكلم لخطابه، وهو فهم يسلمنا إلى أن حرص الجاحظ على<<البيان>> مرتهن إلى الوظيفة العملية والإنجازية التي ينيطها بالعملية البيانية ككل، حيث << المتكلم >> عنده ناهض بوظيفة << بيانية >> و<< تيتية >> بطريق كشف قناع المعنى وتوضيحه للسامع، ومن أجل أن يتحقق البيان (= الأفهام) ينيط الجاحظ بالسامع وظيفة << التبيين >> (= الفهم) التي تقتضيه التأمل في المعني من أجل تفهمه، وهو جهد يجعل السامع شريكا للمتكلم في الفصل، إذ من دونه لا تتحقق << المقاصد >> التي يهفو اليها المتكلم، ولذلك أولى الجاحظ عناية خاصة للمستمع الذي أصبح محددا أساسا في العملية البيانية <<لأن مدار الأمر على البيان والتبيين، وعلى الأفهام والتفهم وكلما كان اللسان ابين كان احمد، كما انه كلما كان القلب أشد إستيانت كان أحمد، والفهم لك والمتفهم عنك شريكان في الفصل >> (2)

ومادام مدار الأمر عند الجاحظ: على البيان والتبيين فقد إهتم بشروط الإرسال الجيد لضمان حصول الإستجابة المرجوة، حيث وجدناه لايفصل القول في العناصر الخارجية التي تشترط في العملية البيانية، مثل سلامة النطق وطلاقة اللسان وعدم تنافر الألفاظ لإعتقاده إن البيان يحتاج إلى تمييز وسياسة، وإلى ترتيب ورياضة، وإلى تمام الآلة وإحكام الصنعة وإلى سهولة المخرج، وجهارة النطق، وتكميل الحروف...>> (3) ويلمح من إعتقاد الجاحظ في أهمية الإرسال الجيد في الإبانة وتحقيق التصديق أن يستعيد في مفتتح كتابه من <<العي>> و<< الحصر>>، إذ << البيان بصر والعي عمى>> (4)

وقد بلغ من إعلاء الجاحظ من << البيان>> إن لم يحصره في الخطابين الشعري والخطابي، بل جعله يشمل أنظمة رمزية وسيميائية أخرى عددها في كتابه، فشملت عنده اللفظ (الكلام المطوق)، والإشارة (باليد والرأس والعين والحاجب والمنكب والثوب والسيف)

1- محمد العمري: البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، افريقيا الشرف، البيضاء، 2007، ص 39.

2- الجاحظ: البيان والتبيين، ج 1، ص 14.

3- المرجع نفسه ج1، ص 16.

4- المرجع نفسه، ج 1، ص 57.

والخط (الكتابة)، والنصية (الحال الناطقة بغير اللفظ والمشيرة بغير اليد)، والعقد (الحساب باليد) عوض اللفظ والخط [1].

إن البيان عند الجاحظ منظورا إليه من زاوية وظيفته الكلامية هو << سلطة >> تقدر <<المتكلم>> على التأثير في السامع لإيقاع التصديق وتحقيق المقاصد، ذلك أن <<مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع إنما هو الفهم والإفهام، فبأي شيء بلغت الإفهام، وأوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضع >> [2].

لكل ذلك أستخلص حمادي صمود أن أبرز ما ساهم به صاحب <<البيان والتبيين>> هو << تنزيله مختلف الأساليب المعروفة إلى عهده في حيز <<البيان>>، الذي إتخذ منه أطار عاما للبلاغة والفصاحة >> [3].

بلاغة التخييل: << البديع >> قبل ان:

قبل أن يظهر مصطلح << بلاغة >> بوصفه الحاكم الجديد لأرض الخطاب في التراث العربي، كان التأمل في الخطاب << البليغ >> قد أفرز عديد مصطلحات رصد لوصف الخطاب << البليع >> انتاجا وتلقيا، ويرجع الدارسو أن يكون مصطلح << البديع >> الذي إستعمله ابن المعتز في القرن الثالث للهجرة عنوانا << صنف في البديع ورسم فنونه وكشف عن أجناسها وحدودها بالدلالات البينة والشواهد الناطقة، بحيث أصبح إماما لكل من صنفوا في البديع بعده، ونبراسا يهديهم الطريق >> [4].

يتصرف مصطلح << بديع >> عند ابن المعتز إلى الدلالة على البحث الذي ينشغل أساسا بإحصاء الإنزياحات في العبارة الشعرية أو << محاسن الكلام >> [5] بالإصطلاح والتمثيل لها، وقد أحصى إبن المعتز العناصر المكونة لمذهب البديع فكانت خمسة هي: الإستعارة والتجنيس والمطابقة ورد الصدر على العجز والمذهب الكلامي، ولكل أمثلة وشواهد أتيها ابن المعتز في مواضعها من الكتاب.

1- الجاحظ: البيان والتبيين، ج1، ص 57.

2- المرجع نفسه، ص 56.

3- حمادي صمود: التفكير البلاغي. عند العرب اسسه وتطوره الى القرن السادس، منشورات الجامعة التونسية 1981 ص 574.

4- شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ: دار المعارف، ط 9، (د. ت)، ص 75.

5- ابن المعتز: كتاب البديع، تحقيق: كراتشوفسكي، دار المسيرة، بيروت، ط3 ، 1982 ، ص 58.

ويسترعي إنتباه الناظر في فنون البديع، التي عدد ابن المعتز أنها جميعها ألصق بجنس الشعر منها بالنثر، لأن ما يحتمله هذا الجنس (الشعر) من درجات الخرق والتعقيد لتحقيق الوظيفة الشعرية يفوق طاقة النثر ووظيفته الخطابية ولعل هذا ما يفسر لنا لمذا قصر ابن المعتز فنون البديع على الشعر على الرغم من حرصه المعني في أول الكتاب على ذكر ما وقع منها في النثر أيضا.

إن قيمة هذا الإنجاز متأتية، إلى جانب بلورة جماليات التعبير الأدبي، من النجاح في تعيين موضوع إشتغال << البلاغي >> الذي لم يكن مفصولا قبل تبني المعتز عن مواضيع العلوم الأخرى، وان كانت هذه الأخيرة تبقى متفوقة من حيث القدرة على التنظير.

بلاغة الخطاب؛ البلاغة العامة:

يصادف الناظر في نظامنا البلاغي القديم << إشارات >> و<< تنبيهات>> كاشفة عن وعي تحصل لأصحابه بأن << البلاغة >> ليست عند التحقيق، واحدة ولكنها << بلاغات >> إن البلاغة من وجهة النظر هاته << جمع>> بصيغة << المفرد >> في البيان والتبيين>> يورد الجاحظ رأيا في تحديد البلاغة مأثورا عن إبن المقفع جاء فيه: << البلاغة إسم جامع لمعان تجري في وجوه كثيرة: فمنها ما يكون في السكوت ومنها ما يكون في الإستماع، ومنها ما يكون في الإشارة، ومنها ما يكون في الإحتجاج، ومنها ما يكون جوابا، ومنها ما يكون إبتداء، ومنها ما يكون شعرا، ومنها ما يكون خطابا، ومنها ما يكون رسائل >> [1].

يظهر من الشاهد أن الرؤية البلاغية لإبن المقفع متحركة ضمن فضاء عام هو <<البلاغة >>، بوصفها إسما جامعا أو جنسا أعلى يضم أصناف البيان ومختلف مظاهر الكلام، بل إنه يتجاوز ذلك ليشمل مواد بيانية أخرى، بما هي أنظمة سيميائية دالة مثل السكوت والإستماع، وبذلك تكون رؤية إبن المقفع للبلاغة قريبة جدا من رؤية الجاحظ الذي تصورها << بينا >> و<< تبيينا >> لحكمة الخالق بما تجلى من تناسق وإنسجام بين عناصر الكون المختلفة.

نستفيد مما سلف أن البلاغة العربية منذ نشأتها << بلاغة عامة >> موضعها الخطاب الإجتماعي بنوعيه: التخيلي الشعري والتداولي الخطابي، وهو الإنجاز الذي تحقق على نحو متكامل.

1- الجاحظ: البيان والتبيين، تح: احمد امين، احمد الزين، المكتبة العصرية، بيروت، (2005)، ج1، ص 78.

الفصل الثاني: الأفعال الكلامية عند الجاحظ

1- المبحث الأول: الأفعال الكلامية عند الجاحظ

- الإستفهام
- صور تخريج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر
- النظم
- اللفظ والمعنى
- الحجاج

2- المبحث الثاني: الأبعاد التداولية لعلم البيان

- التشبيه
- الإستعارة
- الكتابة
- المجاز

3- المبحث الثالث: الأبعاد التداولية لعلم المعاني

- الإيجاز
- الإطناب
- المساواة
- الفصل والوصل

4- المبحث الرابع: الأبعاد التداولية لعلم البديع

- السجع
- الإزدواج
- السرقات الشعرية
- الإقتباس والتلميح

المبحث الأول؛ الأفعال الكلامية عند الجاحظ:

1_ الأفعال الكلامية عند الجاحظ:

تندرج ظاهرة الأفعال الكلامية ضمن مباحث علم المعاني، وتحديدا ضمن الظاهرة الأسلوبية المعنوية بـ:"**الخبر والإنشاء**"، وبذلك يمكننا إعتبار نظرية الخبر والإنشاء عند العرب–من الجانب المعرفي العام – مكافئة لـ: مفهوم "**الأفعال الكلامية**" عند المعاصرين، أو هي معادلة لمفهومين:"**الأفعال الكلامية** "والأفعال المستدعاة بالقول خصوصا، لايهمنا هذا الإختلاف مادام إختلاف "**عموم**"و"**خصوص**" ولا يتعداهما إلى الخصائص الجوهرية، وإنما مع وعيينا التام بوجود بعض الفروق الإبستومولوجيا والمنهجية بين النظريتين.

يرى الجاحظ أن " **الخبر** "الذي يوصف بـ: "**الصادق** "هو ما يكن مطابقا للواقع، مع إعتقاد صاحبه أنه غير مطابق، و يوصف بـ:" **الكاذب** " إذا كان غير مطابق للواقع مع إعتقاد صاحبه أنه غير مطابق .[1]

و الرسم التالي يبين تقسيم الخبر عند الجاحظ[2]

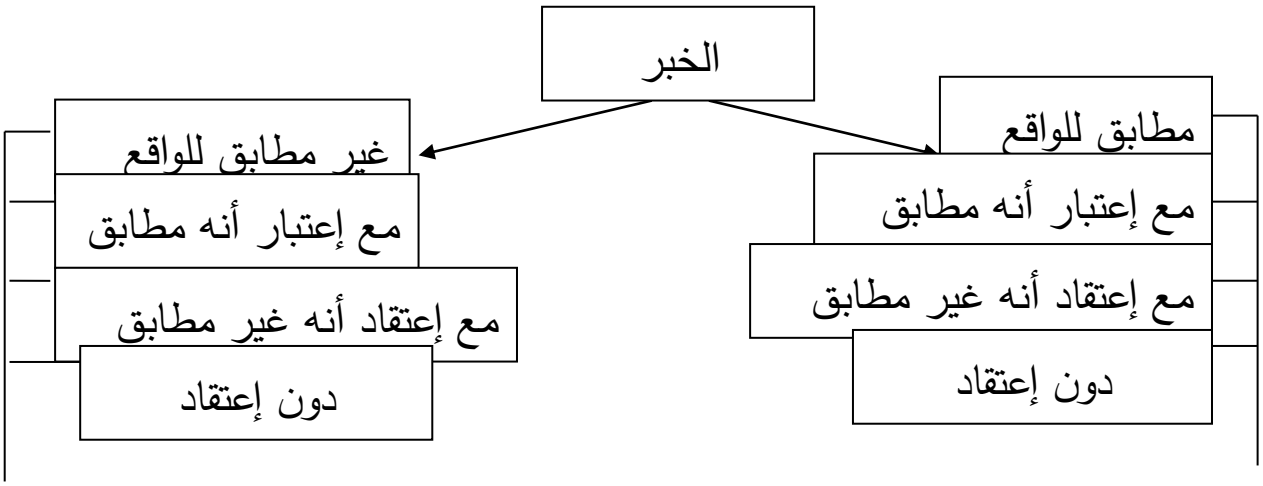

بالتالي يكون لدينا :

1–التفتازاني سعد الدين :المطول في شرح تلخيص المفتاح للخطيب القز ويني. ترتيب وتعليق:عبد المتعال الصعيدي منشورات دار الحكمة ، دط ، ص:40 –41.

2- مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب . ص :93.

- " **الخبر الصادق**" هو:ما كان مطابقا للواقع+إعتقاد المتكلم بأنه مطابق.
- " **الخبر الكاذب**"هو:ما كان غير مطابق للواقع+إعتقاد المتكلم بأنه غير مطابق.

و ينتج نوع آخر من الأخبار هو:

- " **الخبر الذي ليس صادقا و لا كاذبا** " و هو صنفان:

1- هو المطابق للواقع، سواء مع إعتقاد المتكلم أنه غير مطابق أو بدون إعتقاده.

2- هو غير مطابق للواقع، سواء مع إعتقاد المتكلم أنه مطابق أو بدون إعتقاده.

و في ذلك يحتكم الجاحظ في الحكم على صدق " **الخبر** " أو "**الكذب** " هما:

- مطابقة الواقع.
- وإعتقاد المخبر (أو قصده).

وبذلك أضاف الجاحظ نوعا أو صنفا ثالثا من الأخبار، وهو" **الخبر**" غير الصادق ولا الكاذب، وهو بهذا متأثر برأي النظام المعتزلي، و ذلك بإعتماده على "**القرينة التداولية** " التي هي :"**إعتقاد المتكلم وقصده.**"

ومعيار الجاحظ " **إعتقاد المتكلم و قصده**" يشبه أو يقارب معيار سيرل، وهو "**شرط الصراحة** "الذي صنف به " **الأفعال المتضمنة في القول** "،كما يلتقي الجاحظ في هذه الرؤية التداولية بالدسوقي و السبكي حين أدرجا " **قصد**" المتكلم في التمييز بين" **الخبر**" و"**الإنشاء**".

1- **الإستفهام** : مما إختلف العلماء في إعتباره من" **الإنشاء الطلبي**" أو من "**الإنشاء غير طلبي** "به شيء ما أي التنبيه، و إن كان عند الأغلب من(**الإنشاء الطلبي**).

هناك أدوات إنجازيه للإستفهام وهي: (الهمزة، أم، هل، ما، من، أي، كم، كيف، أين وأنى، متى وأينا)، وهي ثلاثة أنواع أحدها : يختص طلب حصر التصور وثانيها يختص طلب حصول التصديق و ثالثها لا يختص .

1-1-الهمزة : يطلب بها التصور والتصديق.

في طلب التصديق بها:" فأنت لما لا تصلي؟"[1] و"أزيد منطلق" ؟أما في طلب التصور بها في طرف المسند إليه: " أدبس في الإناء أم عسل" .

1-2 ما: للسؤال عن الجنس، تقول: ما عندك ؟ بمعنى أي الأجناس عندك ؟ و جوابه إنسان أو فرس أو كتاب أو طعام، وفيه قوله تعالى :" ما تعبدون من بعدي" **البقرة الآية133**، أي من في الوجود تِؤثرونه في العبادة ؟ ومن أمثلة الجاحظ في فصل الخطب ما يلي:

مثال: مر إبن أبي علقم بمجلس بني ناجية، فكب حماره لوجهه، فضحكوا منه فقال: ما يضحككم ؟ رأى وجوه قريش فسجد !"[2]

وهنا "ما" تفيد التحقير والتعجب، فضحكهم عليه دليل على الإحتقار ، أما سؤاله لما تضحكون، دليل على التعجب .

مثال: قال ابن صديقة لرجل رأى معه خفا: ما هذه القلنسوة ؟ فاحتكموا إلى عرباض فقال: هي قلنسوة الرجلين !.[3]

وهنا "ما" أفادت كذلك التعجب . كما في قوله تعالى "مالي لا أرى الهدهد ":النمل الأية 20.

1-3أي: للسؤال عما يميز أحد المشاركين في أمر يعنيهما، يقول القائل: "عندي ثياب "، فتقول: "أي الثياب هي؟ "فتطلب منه وصفا يميزها عندك عما يشاركها في الثوبية، أيضا قول تعالى حكاية سليمان عليه السلام: "أيكم يأتيني بعرشها "النمل الآية38 أي الإنسي أم الجني ؟ ومن أمثلة الجاحظ التي جاءت في فصل الخطب ما يلي:

مثال: قال: ذهب والله مني الأطيبين ؟ قلت : وأي شيء الأطيبين ؟ قال: قوة اليدين والرجلين[4]. فهنا يطلب منه وصفا يميزهما فأجابه باليدين و الرجلين .

1-4- كم : فالسؤال عند العدد مثلا، إذا قلت : كم درهما لك ؟ وكم رجلا رأيت ؟ فكأنك قلت : عشرون أم ثلاثون أم كذا أم كذا، قوله عز و جل :" قال قائل منهم كم لبثتم " الكهف الآية 19 .أي كم يوما أو كم ساعة . ومن أمثلة الجاحظ مايلي :

1- الجاحظ: البيان والتبيين. ج4، ص 12.

2- المصدر نفسه، ج4، ص 1.

3- المصدر نفسه، ج4، ص 1.

4- المصدر نفسه، ج4، ص 13.

مثال :قال محمد أبن الجهم : هذا الدواء الذي جئت به قدر كم آخذ منه ؟ قال قدر بعرة .[1]فهنا يفيد السؤال عن العدد والكم ، كم آخذ منه .

كما تفيد " كم "الإستبطاء في مثل قولك : كم دعوتك؟ أو كم تدعوني؟ تفيد الإنكار وكذلك تفيد التهديد مثل قولك : كم أحلم .

1-5-كيف:أما كيف للسؤال عن الحال، فإذا قيل : كيف زيد؟ فجوابه : صحيح أو سقيم، مشغول أو فارغ مثلا .

ومن أمثلة الجاحظ مايلي:

مثال : قال أبو الحسن قال أبو عباية السليطي : قد فسد الناس !قلت : وكيف ؟ قال: ترى سياتين هزاز مرد هذه ما كان يمر بها غلام إلا بخفير ، قلت هذا صلاح ! قال : بل فساد[2] فهنا" كيف" جاءت للسؤال عن الحال "صلاح"، فكانت إجابته لا بل "فساد".

1-6- من :للسؤال عن الجنس من ذوي العلم مثل :من جبريل ؟ بمعنى أبشر هو أم ملك أم جني ؟ كما في قوله تعالى : "فمن ربكما يا موسى "**الشعراء الآية 29** .

وأراد من مالككما ومدبر أمركما ؟ أملك هو أم جني أم شيء؟ منكرا لأن يكونا لهما رب سواه لإدعائه الربوبية لنفسه .

ومن أمثلة الجاحظ مايلي:

مثال : حدثنا صديق لي قال :أتاني أعرابي بدرهم فقلت له : هذا زائف، فمن أعطاك ؟ قال: لص مثلك !.[3] وهنا سؤال عن جنس النقود بأنها زائفة وغير أصلية .

وفي تصورنا، إن صح ذلك تعتبر هذه المقاصد و الإفادات **أفعال كلامية أو قوى إنجازيه** ناتجة أو متولدة عن الطلب الأصلي **الإستفهام** فهي تختلف حسب مقامات الكلام وهنا يتجلى البعد التداولي لمعاني هذه الحروف .

كما يمكننا إعتبار **الإستفهام** الفعلي الكلامي الأصلي و ما تولد عنه من أفعال في مثل :التمني، العرض، الوعيد، الرجز، الاستبطاء أفعالا متضمنة في القول ناتجة عن مقامات معينة .

1- الجاحظ : البيان و التبيين.ج4، ص 12 .

2-المصدر نفسه، ج4، ص 7 .

3- المصدر نفسه، ج4، ص 9 .

2- النداء: رأى أغلبهم أن النداء من الإنشاء الطلبي مثل الفرابي بقول:"إن النداء يقتضي أي يُطلب به من الذي نؤدي الإقبال بسمعه وذهنه على الذي ناداه منتظرا لما يخاطبه به بعد النداء[1]

3- صور تخريج الكلام علي خلاف مقتضى الظاهر :

الحال هو الأمر الداعي للمتكلم إلى أن يعتبر في كلامه الذي يؤدي به أصل المراد خصوصية ما، كالذكر والحذف والتقديم والتأخير، وما إلي ذلك من الخصوصيات المعتبرة في الكلام .

ومن هنا فإن الحال قسمان :

أ- ظاهر :هو ما يبدو من ظاهر حال المخاطب، أو المناسبة التي يساق لها الكلام، دون إعتبار أمر آخر، كتوكيد الخبر في قوله تعالي ٌ: فقالوا إنا إليكم مرسلونٌ . **يس،الآية :14.**

فالبعد التداولي هنا، أن ظاهر حال هؤلاء القوم الإنكار، فاستدعى الكلام التوكيد لإزالة هذا الإنكار عند المخاطبين، و مجيء الكلام مؤكدا مراعاة لظاهر حال المخاطب هو تخريج للكلام على مقتضى ظاهر الحال .

ب- خلاف الظاهر : و يكون بإعتبار أمر آخر غير ما يبدو من ظاهر حال المخاطب أو "**المقام** "، كتنزيل غير المنكر منزلة المنكر لسبب من الأسباب التي تدعوا إلى ذلك كما في قوله :"ثُمَ إنكم بعد ذلك لميتون" **المؤمنون الآية** 15، فالموت حقيقة واقعة لا ينكرها أحد و لكن المخاطبين لغفلتهم و لهواهم و إعراضهم نزلوا منزلة من يدعي الخلود و ينكر الموت، و لهذا الإعتبار خوطبوا خطاب المنكرين، وجاء الكلام مؤكدا كما يؤكد للمنكر وإخراج الكلام على هذا النحو إخراج له على خلاف مقتضى ظاهر الحال، ومن هنا يظهر "**البعد التداولي** " .

ومن أمثلة الجاحظ التي جاء الكلام فيها مخالفا لمقتضى ظاهر الحال، ما يلي:

ب-1 الكلام الذي يذهب "السامع" منه إلى قصد "المتكلم ":

[1]-الفرابي:كتاب الحروف. ص162.

يعني به"**الجاحظ**" : أن هذا النوع، الكلام الذي يأتي به "**المتكلم** " وفقا لفهم "**السامع** "ومجراه في كلامه، و إن خالف مقتضى الظاهر.و هنا يظهر" **البعد التداولي** "في هذا النوع من صور تخريج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر .

وقد مثل له الجاحظ بقوله تعالى : "و ترى الناس سكارى و ما هم بسكارى" **الحج الآية 02**، وقوله : " لا يموت فيها ولا يحي " **طه الآية 74** و قوله: "يأتيه الموت من كل مكان و ما هو بميت " **إبراهيم الآية 17** و ذكر أن المفسر سأل عن قوله تعالى : " لهم رزقهم فيها بكرة و عشيا " **مريم الآية 62** فقال : ليس فيها بكرة و لا عشي ، و قوله تعالى لنبييه صلى الله عليه وسلم: "فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فسئل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك "**يونس الآية 94**، قالوا لم يشك ولم يسل.[1]

ففي هذه الآيات يظهر "**البعد التداولي**" فجاء الكلام مخالفا لمقتضى ظاهر الحال والمقام، فليس في يوم القيامة سكر حتى يعبر بهم عنهم "**بسكارى**" و الحمل على الإستعارة أو التشبيه بعيد لقوله :"و **ما هم بسكارى** "، كما أنه ليس في جهنم موت و لا حياة، الموت لا يأتيه لأنه ليس بميت، و كذا باقي الآيات و إنما جاء الكلام مخالفا لهذا الظاهر جريا مع ما يفهمه السامع و تقريبا لفهمه.

و قد أدرج الجاحظ أمثلة، فيذكر من هذه الأمثلة "أن رجلا سئل بلالا "، مولى أبي بكر –رحمه الله – و قد أقبل من جهة الحلبة ، فقال له :من سبق ؟ قال : سبق المقربون.

قال : إنما أسئلك عن الخيل، قال :"و أنا أجيبك عن الخير".

فنزل بلال عن جواب لفظه إلى خير هو نفع له " [2]و هنا يظهر "**البعدالتداولي**" حيث أجاب بلال "**المتكلم** " السائل " **السامع** " بغير ما يتطلب بتنزيل سؤاله منزلة غيره، تنبيها على أن هذا هو الأولي بالسؤال و الإستغفار و ذكر الجاحظ من الأمثلة أيضا أن عمر إبن الخطاب لما أقدم عمرو إبن العاص عليه من مصر قال له عمر: لقد سرك سير عاشق . قال عمرو : إني – و الله ما تأطبتني الإماء، ولا حملتني البغايا في غيارات المآلي: البغايا، الزواني، بقايا خرق الحائط .

1-الجاحظ : البيان و التبيين .ج2، ص 281 .

2- المصدر نفسه .ج2، ص 282.

قال له عمر و الله ما هذا بجواب الكلام الذي سألتك عنه، و إن الدجاجة لتفحض في الرماد، فتضع لغير الفحل، و البيضة المنسوبة إلى طرقها، و قام عمر فدخل و قام عمرو فقال لقد أفحش أمير المؤمنين علينا .[1]

فالبعد التداولي هنا هو حمل عمرو إبن العاص "**كلام**" عمرو إبن الخطاب على خلاف مقصوده، تنبيها على أن هذا ما كان ينبغي أن يقصد، و لذا رد عليه عمر بقوله : والله ماهذا بجواب الكلام الذي سألتك عنه . و هذا ضمن صدر تخريج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر، فمن هنا يظهر البعد التداولي لهذين المثالين .

ب-2 القلب:هو جعل جزء من الكلام مكان جزء آخر على وجه يثبت حكم كل منهما للآخر . و قد تعرض الجاحظ في كتابه لهذا النوع ، و نص عليه في باب نعته "**باب تأديب من تأديب العلماء** " .فيرى أن سعيد إبن عثمان إبن عفان – رحمه الله – قال لطويس المغني :أين أسن، أنا أم أنت يا طاووس ؟ قال :" بأبي أنت وأمي، لقد شهدت زفاف أمك المبارك أبيك الطيب" .[2]

ويعلق على هذه الرواية بما ينبئ عن وضوح معنى القلب عنده، فيقول : " فأنظر إلى حذقة وإلى معرفته بمخارج الكلام، كيف لم يقل : زفاف أمك الطيبة إلى أبيك المبارك . وهكذا كان و جه الكلام ، فقلب المعنى .[3]

و هذا النوع من الصور تخريج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر، وقد رده قولا مطلقا ورفضوه لأنه عكس المطلوب، و نقيض المقصود، و قبله قولا مطلقا، لأن قلب الكلام مما يحوج إلى التنبيه على الأصل، و ذلك مما يورث الكلام ملاحة و لفظا .

و يبدوا من كلام "**الجاحظ** "أنه لا يقبل القلب على إطلاقه، و لا يرفضه على إطلاقه، و لكنه مقبولا عنده إذا تضمن إعتبارا لطيفا، كما في هذا الشاهد الذي ذكرناه، فالقلب هنا لتكون البركة في جانب الأم و الطيبة في جانب الأب، فتثبت لهما البركة والطيبة معا . فمن هنا يظهر "**البعد التداولي** ".

1- الجاحظ: البيان والتبيين، ج2، ص 283.

2- المصدر نفسه. ج1، ص 263

3- المصدر نفسه، ج1، ص 263، 264.

و بذلك تختلف الأساليب الكلامية التي يستعملها " **المتكلم** "، فيعدل عن الطلب إلى الخبر، وذلك قصد تحقيق غايات داخلية كأن يشبع رغبة ذاتية في نفسه، أو غاية خارجية تتصل بـ: "**السامع** "، و بذلك إستطاع "**الجاحظ** " صد بعض الأبعاد التداولية لهذه الأساليب الكلامية التي تفيد معنى غير " **المعنى الحرفي المباشر** " للصياغة الكلامية.

2-2 أسلوب الحكيم :هو تلقي المخاطب بغير ما يتوقعه، إما يترك سؤاله و الإجابة عن سؤال لم يسأله، و إما يحمل كلامه على غير ما كان يقصد و يريد، إشارة إلى أنه كان ينبغي أن يسأل هذا يسأل هذا السؤال أو يقصد هذا المعنى.

و لعل "**الجاحظ**" أول من فطن إلى هذا النوع من الفنون، فقد عقد له بابا خاصا في " **البيان و التبيين** " وأطلق عليه إسم "**اللغز في الجواب** " [1].

- قال "**الجاحظ**" : و قد سأل رجلا بلالا مولي أبي بكر رحمه الله و قد أقبل من جهة الحلية ، فقال له : من تسبق ؟ قال : سبق المقربون ، قال : إنما أسألك عن الخيل قال : و أنا أجيبك عن الخير، فترك بلال جواب لفظه إلى خير هو أنفع له .[2]

فهذا الأسلوب، المتضمن لغزا في الجواب هو أسلوب الحكيم لأنه يسمع المخاطب غير ما تقوله.

فأسلوب الحكيم نوع من أساليب الكلام الذكي و الموجز، أطلق عليه الجاحظ "**اللغز في الجواب** ".

ولهذا الأسلوب" **بعد تداولي**" بحيث يسعى مستعمله إلى تحريك نشاط **السامع** والتأثير فيه.

3-النظم عند الجاحظ في كتاب البيان والتبيين :

إن كلمة "**النظم**" كثر تداولها علي ألسنة المتكلمين وأقلامهم في قضية "**الإعجاز القرآني**"حين برزت هذه القضية، وجند العلماء أنفسهم للدفاع عن القرآن الكريم ضد الملاحدة والمشركين من الشعوبيين، الذين ظهرت حركتهم أقوى ما تكون في أوائل العصر العباسي، حين إحتضنت الدولة العباسية الفرس، وأنزلتهم منها أكرم منزل فظهر من هؤلاء الكثيرون

1- الجاحظ : البيان و التبيين .ج2، ص 147.

2- المصدر نفسه .ج2، ص 282.

من الطاعنين في القرآن وإعجازه من أمثال إبن المقفع، وصالح إبن عبد القدوس وأبان إبن عبد الحميد وغيرهم، ولم ينسى هؤلاء وإضرابهم عقيدتهم المجوسية .

وهذا الطعن في القرآن الكريم، ودفاع العلماء وذويهم عن إعجازه أظهر في البيئة الإسلامية تلك القضية التي شغلت الفكر الإسلامي منذ القرن الثاني للهجري، أعني بهذا الإعجاز القرآني .

فقد صنف "**الجاحظ** "في نظم القرآن كتابا لم يزد فيه علي ما قاله المتكلمون قبله، ولم يكشف عما يلتبس في أكثر هذا المعنى.

وإذا كان فقد الكتاب لم ييسر لنا قراءته فإننا لم نعرف ماذا يعني بكلمة "**النظم**" في هذا الكتاب الذي يستدل به علي أن إعجاز القرآن في نظمه و تأليفه.

وإن كان هذا الكتاب لم يصل إلينا فإننا يمكن تحديد رأيه في النظم من خلال كتاب "**البيان والتبيين**".

فنظم القرآن عنده ليس في أنه جاء علي ألفاظ وكلمات لم تعهدها العرب، فإن ألفاظ القرآن ألفاظ عربية يعرفها العرب علي إختلاف قبائلهم ولهجاتهم، ولكن نظمه في ضم كلماته بعضها إلي بعض علي نسق خاص، وبطريقة مخصوصة، لا يقدر عليها البشر أجمعين .

ورأيه هذا نجده متناثر في "**البيان و التبيين**" فكثير من نصوص الكتاب يشير إلي هذا المفهوم، بل و تفصل عن معني اللفظ عنده .

فنراه يصرح أن القرآن الكريم مخالف في نظمه لسائر الكلام، منظومه و منثوره ،فيما وعد به القارئ أنه سيذكر أقسام تأليف الكلام، و كيف خالف القرآن جميع الكلام الموزون والمنثور، وهو منثور غير مقفى علي مخارج الأشعار و الأسجاع، وكيف صار نظمه من أعظم البرهان وتأليفه من أكبر الحجج.[1]

ولم نجد في كتابه حديثا في نظم القرآن إلا هذه العبارة و لعله لم يبسط القول في هذه القضية إكتفاء بشرحها في كتابه "**نظم القرآن** ".

1- الجاحظ : البيان و التبيين .ج1، ص 383.

ولكنه حين يتكلم عن نظم الشعر وتأليفه يقر أن "أجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء سهل المخارج فتعلم بذلك أنه قد أفرغ إفراغا واحدا و سبك سبكا واحدا فهو يجري علي اللسان كما يجري علي الذهان ".[1]

فتلاحم أجزاء الشعر، بحيث تكون كل لفظة في موضعها حتى يجري علي اللسان كما يجري الدهان مما يقوم عليه النظم والتأليف.

ويؤكد "**الجاحظ**"هذا المعنى بما رواه عن بشر بن المعتمر من أنك "تجد اللفظة لم تقع موقعها ولم تصر إلي قرارها وإلي حقها من أماكنها المقسومة لها، و القافية لم تحل في مركزها، وفي نصابها، ولم تتصل بشكلها، وكانت قلقة في مكانها، نافرة من موضعها فلا تكرهها علي إغتصاب الأماكن والنزول علي غير أوطانها، فإنك إذا لم تتعاط قرض الشعر الموزون، ولم تتكلف إختيار الكلام المنثور لم يعبك بترك ذلك أحد" . [2]

فالكلمة إذا وقعت في غير موقعها، وحلت غير مكانها أخلت بنظم الكلام، وصارت فلقة في مكانها، غير مستقرة في موضعها .

وضم الكلمة إلى الكلمة، و التأليف بين الألفاظ في نسق واحد وفي نظم مترابط مما يتطلب مقدرة خاصة وإستعدادا لايتهيأ لجميع الناس.

ويؤيد "**الجاحظ**" ذلك بما رواه عن الكسائي، فقد قال الكسائي : "لقيت أعرابيا وجعلت أسأله عن الحرف بعد الحرف، والشيء بعد الشيء أقرنه بذلك، فقال :تالله ما رأيت رجلا أقدر على كلمة إلي جنب كلمة أشبه شيء بها وأبعد شيء منها منك "[3]

فليس النظم مما يقدر عليه كل الناس، ولعله أومأ بهذا إلى المحور الذي دار حوله في نظم القرآن، وهو أن العرب وإن كان عندهم القدرة على النظم والتأليف والألفاظ ألفاظهم، واللغة لغتهم، فإنهم لم يرقو إلى نظم هذا الكلام الذي أعجزهم، على الرغم من أنه جاء بألفاظهم، وعلى سنن كلامهم، وطرائقهم في التعبير .

1- الجاحظ : البيان و التبيين ، ج1، ص 67.

2- المصدر نفسه.ج1، ص 138.

3-المصدر نفسه .ج2، ص 267.

وإذا كان تأليف الكلام ونظمه يقضي وضع كل كلمة موضعها الصحيح، بحيث تأخذ مكانها في النظم، فإن اللفظة تحسن في موضع وتقبح في موضع آخر، بل إن اللفظ القبيح إذا وضع موضعه، وصار إلي مكانه في النظم والتأليف حسن .

ويفصح "**الجاحظ** "في قوله :"قد يحتاج إلي السخيف في بعض المواضع، وربما أمتع بأكثر من إمتاع الجزل الفخم من الألفاظ، والشريف الكريم من المعاني، كما أن النادرة الباردة جدا قد تكون أطيب من النادرة الحارة جدا "[1].

فالمدار عنده علي التلاؤم و الإنسجام بين أجزاء الكلام، وأن نقر الكلمات والألفاظ قرارها وتوضع موضعها .

ومن المتتبع لعبد القاهر الجرجاني في كتابيه يجد أنه متأثر كثيرا بالجاحظ، حيث وقف الجرجاني علي ما نثره "**الجاحظ**" في كتابه من جوانب متصلة بالنظم لإدراك أن "**الجاحظ** "لم يغفل الجانب النحوي في التأليف و النظم، وأن الإمام عبد القاهر وجد كثيرا من أصول نظريته عند "**الجاحظ**" .

فالجاحظ يصرح في أكثر من موطن على أن النحو أساس في صناعة الكلام وأن التأليف إذا لم تراع فيه هذه المعاني النحوية، والفروق الدقيقة بينها سقط الكلام وأصبح مبهرجا قليل الغناء .

فيقرر أصحاب هذه اللغة "**العجم** "لا يفقهون قول القائل منا "مكره أخاك لا بطل وإذا عز أخاك فهن " هذا المثل والذي قبله جاء علي لغة من يلزم الأب والأخ الألف، ومن لم يفهم هذا الفهم لم يفهم قولهم : "ذهبت الي أبو زيد، ورأيت أبى عمروا" يعني لم يتبين وجه الخطأ في المثالين، ومتى وجد النحويون أعرابيا يفهم هذا وأشباهه يهرجوه ولم يسمعوا منه، لأن ذلك يدل علي طول إقامته في الدار التي تفسد اللغة وتنقض البيان، لأن تلك اللغة إنما إنقادت وإستوت وأطردت وتكاملت بالخصال التي إجتمعت لها في تلك الجزيرة، ولفقد الخطأ من جميع الأمم " [2].

1- الجاحظ: البيان والتبيين. ج1، ص 145.

2- المصدر نفسه، ج1، ص 162-163.

فالنحو وتوخي قواعده ومعانيه أساس عنده في النظم، فالأعرابي الذي فسدت لغته بالإختلاط بالأعاجم، فلم يفرق بين صحيح الكلام وفساده ولا يعتد بكلامه، فكلامه ساقط الدرجة لعدم مراعاته للضوابط النحوية التي جاءت لغة العرب علي أصولها .

وإذا كان "**الجاحظ**" يعلو علي النظم والتأليف، فإنه لم يعن به القواعد النحوية والقوالب الجافة دون النظر إلي ما تنطوي عليه هذه القواعد من معاني وأسرار، وإنما يعني تلك المعاني النحوية التي هي مدار المفاضلة وموضع الإمتاع والمآنسة، والتي سماها عبد القاهر الجرجاني "**معاني النحو**" .

فنراه يذكر " أن رجلا من قريش مر بفتى من ولد عتاب بن أسيد، وهو يقرا كتاب سيبويه، فقال : أف لكم، علم المؤدبين وهمة المحتاجين، وقال إبن عتاب : يكون الرجل نحويا عروضيا وقساما فرضيا، وحسن الكتاب جيد الحساب، حافظا للقرآن، راوية للشعر وهو يرضى أن يعلم أولادنا بستين درهما، ولو أن رجلا كان حسن البيان حسن التخريج للمعاني، ليس عنده غير ذلك لم يرضى بألف درهم، لأن النحوي الذي ليس عنده إمتاع كالنجار الذي يدعي ليعلق بابا، وهو أحذق الناس ثم يفرغ من تعليقه ذلك الباب، فيقال له : انصرف، وصاحب الإمتاع يراد في الحالات كلها "[1].

وإذا تأملنا كلامه هذا نجده يفرق بين أمرين في تأليف الكلام ونظمه :

الأول : النحو بمعني القواعد والقوالب الجافة، وهذا ليس فيه شيء من الإمتاع والمؤانسة .

الثاني :المعاني النحوية وهي اللطائف والأسرار التي يتوخاها الأديب و يجب مراعاتها في نظمه، وهي محور الإمتاع والمآنسة .

وهكذا نجد أن" **الجاحظ**" قد طوف بجوانب هذه النظرية، وأفصح عن رأيه فيها دون أن يجعلها قضية أو أساسا لكتابه كما فعل عبد القاهر، ولكن في الحق فإن "**الجاحظ** "قد تعرض لكثير من جوانبها المهمة، حتى إن الإمام عبد القاهر بني كثيرا من أصول نظريته علي ما أثاره الجاحظ في كتابه "**البيان والتبيين**" .

4-اللفظ و المعنى عند الجاحظ :

1- الجاحظ : البيان و التبيين .ج1، ص 402-403.

إن قضية اللفظ و المعنى من أهم القضايا التي تشغل بال الكثيرين من الكاتبين والمؤلفين على إختلاف ثقافاتهم و بيئاتهم، فنقاد الأدب والبلاغيون، وفلاسفة الجمال وعلماء النفس، كل هؤلاء يهتمون بهذه القضية اهتماما كبيرا، حتى الأقدمون شغلوا بها قبل أن يعالجها العرب، و هؤلاء و أولائك تحدثوا عن المعايير الجمالية الموضوعية التي تعد من أسس الحكم على العمل الأدبي من الناحية الفنية، و بحثوا عن العناصر الأساسية الخصائص التي تميز بها الأعمال الأدبية، ولا تزال هذه المشكلة تشغل بال المعاصرين من نقاد العرب، مع أن نقاد العرب و بلاغيهم فتلوها بحثا في تلك العصور البعيدة .

وإهتمام العرب أو البلاغيين العرب بهذه القضية و عنايتهم بها ترجع إلى أمرين :

الأمر الأول: وهو إرتباط هذه القضية بقضية النظم **و الأمر الثاني** :يرتبط إرتباطا وثيقا بمعنى البلاغة "**الجانب التداولي**".

فقد كانت قضية اللفظ و المعنى من أهم المسائل التي أثارها "**الجاحظ** "، فقد تفطن إلى هذه الفكرة، و بعدها أخذها عنه المشتغلون بالأدب و المهتمون بأركانه،على إختلافهم في الفهم و أسلوب النظر إلى الأدب، و الإتجاه به إتجاها فنيا ؟ أو إتجاه عقلي .[1]

وقد نظر كثير من الباحثين إلي " **الجاحظ**" على أنه من أنصار اللفظ الذين يقدمون العناية بالشكل والصورة ويطرحون المعاني ولا ينظرون إليها، بل يسوون فيها بين الخاصة والعامة وأنه يتزعم بهذا طائفة اللفظيين.

والواقع أن" **الجاحظ**" إذا قد إهتم بالجانب اللفظ إلا أنه لم يهتم بجانب المعنى فاللفظ عنده له شأنه في تقويم الأدب، للمعنى أيضا أثره الذي لا يجحد على روعة هذا الأدب و جماله، ولعل الذي جعله يصرح بهذا الكلام الذي جعل الكاتبين ينظرون إليه على أنه من أنصار اللفظ هو ما رآه في عصره من العناية الزائدة و الإهتمام بالكثير من المحسنات البديعية و الإكثار منها و جرى كثير من الشعراء و الكتاب وراءها، تاركين العبارة الفخمة و اللفظ المعبر، و الأسلوب المطوع الرهيف، وطغيان ذلك على الأدب، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى ما رآه من الكثيرين من نقاد الأدب و المشتغلين من إهتمامهم بالمعنى– على إطلاقها – و الإشادة بها، دون النظر إلى الألفاظ، وإهتمامهم لها إهمالا كليا، فأراد أن يبين أن الألفاظ و الصياغة لها شأنها، ولا بد من مراعاتها والإهتمام بها كما يهتم بجانب المعاني،

[1]-الجاحظ: البيان والتبيين، ج1، ص403.

وأن يكون هذا الإهتمام بحيث لا يطغى على الصياغة اللفظية التي يفسد طغيانها على اللفظ والمعنى جميعا و يهوى بالأدب إلى الحضيض.

وفضلا على هذه العبارة التي أوقعت" **الجاحظ**" في هذا الإهتمام في نظر هؤلاء، فقد وردت عبارات أخرى قد يفهم منها – مع عدم التأمل – إنتصاره للألفاظ و إطراح المعاني كلية .

فقد إفتتح باب البيان يذكر الألفاظ ، أبان عن فضلها في تأدية المعنى، فنقل عن بعض جهابذة الألفاظ و نقاد المعاني أن " المعاني القائمة في في صدور الناس المتصورة في أذهانهم صورة خفية، وبعيدة وحشية ... لا يعرف الإنسان ضمير الصاحب له ولا حاجة أخيه وخليط هو، إنما يحكي تلك المعاني ذكرهم لها، وإخبارهم عنها وإستعمالهم إياها وهذه الخصال هي التي تقربها من الفهم، وتجليها للعقل .[1]

وقد يظن البعض من هذه العبارة أنه يجعل المعاني القائمة في صدور الناس لا قيمة لها دون أن تلبس ثوبها عن طريق الألفاظ، فهي التي تخرجها من الصدور وتجلبها للعقل "وبالكلام أرسل الله أنبياءه، لا بالصمت " [2]

ويقول أيضا في باب البيان "أعلم خفضك الله أن حكم الألفاظ خلاف حكم المعاني، لأن المعاني، مبسوطة إلى غير غاية، و ممتدة إلى غير نهاية، وأسماء المعاني يعني الألفاظ مقصورة معدود، ومحصلة محدودة «. [3]

فالناظرين يمكن أن يهتموا من ظاهرة هذا الكلام أن المعاني كثيرة، يغترف منها من أراد من الخاصة والعامة، أما أسماؤها وهي الألفاظ فهي ميدان السباق، لأنها لا تتأتى لكل طالب.

وقد عاب "**الجاحظ**" على أبي عمرو الشيباني إستجابته لتبيين من أشعار المولدين وقد سبق الإشارة إلى هذا و هما :

لا تحسبن الموت موت البلى و أنما الموت سؤال الرجال

كلا هما موت و لكـــــن ذا أشد من ذاك على حـــــال

1- الجاحظ: البيان والتبيين. ج1، ص 75.

2- المصدر نفسه. ج1، ص 272.

3- المصدر نفسه، ج1، ص 76.

فكان إعجاب أبى عمرو لهذين البيتين لما إشتملا عليه من جليل المعنى، دون النظر إلى لفظها، بقول الجاحظ معلقا على صنيع أبي عمرو الشيباني: "ولقد رأيت أبا عمرو يكتب أشعارا من أفواه جلسائه، ليدخلها في باب التحفظ والتذاكر، وربما خيل إلى أن أبناء أولائك الشعراء لا يستطيعون أبدا أن يقولوا شعرا جيدا، لمكان أعراقهم من أولائك الآباء، ولو لا أن أكون عيابا، ثم للعلماء خاصة لصورت لك في هذا الكتاب بعض ما سمعت من أبي عبيدة و من هو أبعد من وهمك من أبي عبيدة " .[1]

العبارة توحي لبعض الإفهام – أن "**الجاحظ**" يقف في وجه أبي عمرو، وبخاصة أنا أبا عمرو عرف عنه إنتصاره للمعاني، و إطراحه للألفاظ أيا كانت .

كما أنه يعقد طائفة من الموازنات بين شعراء و قائلين اتحدت معانيهم، واختلفت ألفاظهم، و ليطلع القارئ على ما تعطيه الألفاظ للكلام من جلال و سمو و رقعة.

ففي معنى الصبر على الفقر و أنتضار الفرج يروي قوله على بن أبي طالب – رضي الله عنه : من أفضل العبادة الصمت وإنتضار الفرج و قول الشاعر :

إذا تذايق أمر فأنتظر فرجا فأضيق الأمر أدناه من الفرج .

و قول الأعرابي :

تبصرني بالعيش عرسي كأنما تبصرني الأمر الذي أنا جاهله

يعيش الفتى يوما وبالغنـــــــى وكل كان لم يلق حين يزايلـه [2]

فالمعنى واحد في هذه الأقوال، ولاكنها تفاضلت من جهة تأدية هذا المعنى بالألفاظ، التي جاءت بعضها منتخبا رائقا وبعضه أقل في باب الحسن والجودة .

ومثل هذه العبارات والموازنات هي التي جعلت هؤلاء وغيرهم يعدون الجاحظ صار اللفظ، وانه علي رأس فريق اللفظيين.

فالجاحظ كذلك لم يهمل جانب المعنى كلية، ولكنه تعرض كثيرا للمعاني وابرز فضلها، وأهميتها في تقويم الأدب، بل انه عقد كثيرا من الموازنات بين المعاني وتفاضلها، وذكر أن منها الشريف الكريم، ومنها البديع العجيب، وفي كل تنازع الشعراء والأدباء وإدعى أنه مبدعها ومخترعها .

1- الجاحظ: البيان والتبيين.ج4، ص 24.

2- المصدرنفسه ، ج2، ص 350.

فنراه يقرر أن "أحسن الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره، ومعناه في الظاهر لفظه وكان الله –عز وجل– قد البسه من الجلالة وغشاه من نور الحكمة علي حسب نية صاحبه وتقوى قائله، فإذا كان المعنى شريفا و اللفظ بليغا، وكان صحيح الطبع بعيدا عن الإستكراه ومنزها عن الإختلاف مصونا عن التكلف، صنع في القلوب صنيع الغيث في التربة الكريمة"[1]

فهو يسوي بين اللفظ والمعنى في التأثير علي قلوب السامعين، بل أكثر من هذا يجعل المعنى هو الأصل وصاحب الحق، واللفظ خادما له، فيقول : "ومن علم حق المعنى أن يكون الاسم له طبقا، وتلك الحال له وفقا، ويكون الإسم له لا فاضلا ولا مفضولا، ولا مقصرا، ولا مشتركا ولا مضمنا، ويكون مع ذلك ذاكرا لما عقد عليه أول كلامه ويكون تصفحه لمصادره في وزن تصفحه لموارده " [2]

فالمعنى يأتي أولا ثم يطلب له اللفظ الذي يناسبه ويؤديه، وأيضا فإن المعاني عنده بحر لا يستطيع الوصول إلي أعماقه إلا السباح الماهر، فيذكر أن:"أحمد ابن المعذل بن غيلان كان يذهب مذهب مالك رحمه الله وكان ذا بيان وتبحر في المعاني وتصرف في الألفاظ ".[3]

والأدب عند" **الجاحظ** "لا يبلغ الجودة، ولا يصيب المحز بلفظه فقط، فإذا كان الأديب لفظه حسنا ومعناه رديئا فلا قيمة له عنده .

فيذكر من صفات ثمامة بن الأشرس إن "لفظه كان في وزن إشارته، ومعناه في طبقة لفظه، ولم يكن لفظه إلي سمعك بأسرع من معناه إلى قلبك ". [4]

فالكلام كما صرح بذلك :"لا يكون يستحق إسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه ولفظه معناه، فلا يكون لفظه إلي سمعك أسبق من معناه إلى قلبك ".[5]

ومن الثابت أن اللفظ والمعنى كلاهما ركنا الأدب، وهما معا مناط التأثير في النفوس والقلوب، وتتبعا" **للجاحظ** "في كتابه يجعلنا نؤكد إن كلامه في النهاية يؤول إلي هذه الفكرة.

1- الجاحظ: البيان والتبيين. ج1، ص 83.

2- المصدر نفسه ج1، ص 92-93.

3- المصدر نفسه، ج1،ص 103.

4–المصدر نفسه،ج1، ص 111.

5-المصدر نفسه ،ج1، ص 115.

فهو لم يفرق بين اللفظ والمعنى في التأثير على النفوس، سواء كان هذا التأثير حسنا أو سيئا، فنراه لا يغفل ما تحدثه الألفاظ أو المعاني –على حد سواء– من أثر شيء في القلوب، إذا جاءت المعاني سخيفة أو الألفاظ قبيحة.

فيقرر إن "سخيف الألفاظ مشاكل لسخيف المعاني، وقد يحتاج إلى السخيف في بعض المواضع وربما أمتع بأكثر من إمتاع الجزل الفخم من الألفاظ، والشريف الكريم من المعاني".[1]

فنراه يعدد من صفات المعاني:الشريف والكريم و النبيه، وسرعة الدخول في القلب، وغيرها من الصفات التي تدل على أنه يفرق بين المعاني، وليست كلها على درجة واحدة يشترك فيها الخاصة والعامة، ولو كانت كذلك لم تكن هناك فائدة لهده الصفات

وإن كانت الألفاظ صورا وأشكالا وأثوابا، فالمعنى عنده جواهر، وجوار تطلب وتقبل النفس عليها.

فإقبال النفس على المعاني أشد، وهي تطلب لذاتها، والألفاظ ثوب يجلبها، وإذا كانت الجواري فيهن الحسان فمن المعاني الغرائب والعجائب .

ف"**الجاحظ**" ينبه إلى الدقة في الإختيار للمعاني و التدقيق فيها، وهذا هو ما إطمأن إليه في التوفيق بين كلامه والمعنى، وما عسى أن يفهمه البعض من التناقض في هذا الكلام.

5-الحجاج:

1- تطبيق المنهج الحجاجي علي بعض النصوص :

يحتاج الناظر إلى منزلة لنظريات الحجاج في الدراسات العربية الحديثة إلى وقفة تأمل تضبط الحدود الزمانية لبداية الاهتمام بهذه النظريات وإلى نظرة نقدية للممارسات هذه النظريات وتطبيقاتها على النصوص العربية المختلفة.

ولعل الإقناع وهو مقصد أساسي، في الخطب و النصوص ذات المنزع التأثيري قد شكل نواة البحث الحجاجي و القلب الربط بين البلاغة القديمة (الأرسطية، وفي صيغتها

1- الجاحظ: البيان والتبيين .ج1، ص 145.

العربية القديمة) و البلاغة الجديدة (نظريات الحجاج والتداولية ونظرية الأعمال الغوية) .فالإقناع هدف يتحقق عبر توسل أدوات وأساليب بلاغية (أي لغوية، تركيبية، بيانية ...).

- ومن بين صور الحجاج في كتاب البيان و التبيين مايلي :

تشترك هذه الوسائل (**القياس، المثال ، الشاهد**) في دعوتها العقل إلى الانسجام مع مبادئه (البنية وعدم التناقض...) أو مع العالم الخارجي المحيط به بما فيه من قيم وموضوعات إجتماعية.

الإنسجام الداخلي : كثيرا ما جمعت الآليات المتعلقة بهذا الجانب تحت عنوان شامل (**القياس الخطابي**) ،و هو يتسع ليشمل جميع صور الإستقراء و الإستنتاج القائم على الإحتمال لا القطع ، و قد يدل على القياس.

أ-القياس الخطابي :يقوم على الإحتمال و الترجيح، و المعروف أن هذا النوع من الخطابة لم تكن له أهمية كبيرة في عصره، على أن الواقع يقتضي الإعتراف بأن بعض المواقف التي يسعى فيها الخطباء إلى دفع التهمة أو التبرؤ من الوشاية أو تبرئ ذمة القبيلة لا يمكن فصلها عن الخطابة القضائية .

مثال: قال رجل لأبي هريرة النحوي: أريد أن أتعلم العلم و أخاف أن أضيعه. فقال: "كفا بترك العلم إضاعة " [1]

وفي هذا المثال قام الخطاب، على إحتمال تعلم العلم مخافة المضيعة فهنا الإنسجام الداخلي موجود بين الخطابين.

قام الرجل هنا بدفع التهمة عن نفسه والتبرِؤ، وذلك بأنه إذا تعلم العلم ضيعه فوضع هذا الاحتمال لتبرئ نفسه، فجاء الخطاب الثاني ينسجم معه فقال: كفا بترك العلم إضاعة

ب -المثل:يقوم المثل في الخطابة مقام الإستقراء في المنطق، أو المثل هو إستقراء بلاغي، والمثل حجة تقوم على المشابهة بين حالتين في مقدمتها ويراد إستنتاج نهاية إحداهما بالنظر إلى نهاية ماثلتها . فيأخذ معناها الواسع الذي يشمل التشبيه والإستعارة .

مثال :سمع الأحنف رجل يقول: "التعلم في الصغر كالنقش في الحجر"، فقال الأحنف: "الكبير أكبر عقلا، ولكنه أشغل قلبا " .[2]

1- الجاحظ: البيان والتبيين. ج1، ص 257.

2- المصدر نفسه. ج1، ص 257.

و هنا يبين أن التعلم في الصغر كمن يأخذ بحجر و ينقش به على الصخر، لكي تبقى راسخة و باقية و أزلية، و هذا منطقي فالصغير كالورقة البيضاء تكتب فيه ما تشاء أو كالعجينة تشكل به ما شئت.فالمشابهة هنا قامت بين حالتين في المقدمة التعلم في الصغر أحسن طريقة، أما الإستنتاج فيكون كالنقش على الحجر بمعنى أزلي و راسخ .

2-الإنسجام مع الخارج:

ويدخل في نطاقها القوانين والشهود والإعترافات وتختص إجمالا بالخطابة القضائية ومنها في الخطابة العربية تضمين الآيات القرآنية والأحاديث وأبيات الشعر والأمثال والحكم، وهي حجج جاهزة تكتسب قوتها من مصدرها و من مصادقة الناس عليها وتوترها.[1]

مثال : قال عبد الله بن عباس رحمه الله حيث دلى زيد ابن ثابت في القبر رحمه الله : " من سره أن يرى كيف ذهاب العلم فلينظر، فهكذا ذهابه ."[2]

وهنا حجة عبد الله بن عباس للناس جاهزة، كسبت قوتها من الواقع الذي عاشوه و هو دخول زيد بن ثابت في القبر، فلا يمكن لأحد تكذيب الأمر فمصادقة الناس على أمر مثل هذا مفروغ منه فهذا يعد قول حكيم و حجة واقعية .

مثال : في الشعر، قال بعض الشعراء من بعض العلماء :

أبعت من يومك الفرار فما جاوزت حيث انتهى بك القدر
لو كان ينجي من الردى حذر نجاك مما أصابك الحـــذر
يرحمك الله من أخي ثقــة لم يكن في صفــو وده كدر
فهكذا يفسد الزمان ويفنى الـ علم منه و يدرس الأثـــر[3]

3- طرق الحجاج:

و المقصود هنا ما يطوقه المتكلم، بغية خدمة و جهة نظره عن طريق حمل المتلقي على التسليم بصحة موقفه أولا، والإذعان لمراده، والتبني لما يطرحه من وجوهات نظر ثانيا وعليه فإن المبدع يسخر لذلك ثلاث وسائل بارزة في هذا المسلك الإقناعي:

أ-**الوسيلة الأولى**:التأكيدات الأدائية

1-المعمري محمد: في بلاغة الخطاب الإقناعي، مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية. إفريقيا شرق، بيروت لبنان، ط 2 ،2002، ص: 71-80.

2-الجاحظ البيان والتبيين. ج1، ص 257.

3- المصدر نفسه. ج1، ص 257.

مثال : قال قتادة"لو كان أحد مكتفيا من العلم لا إكتفى نبي الله موسى عليه السلام إذ قال للعبد الصالح : هل أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشدا "[1]

وهنا تأكيد المتكلم بواسطة أدوات مثل : لو، لاكتفى، إذ، على أن، مما، وهذا يهدف للتأثير في السامع وإقناعه بصحة رأيه ووجهة نظره في هذه القضية .

ب-الوسيلة الثانية :التأكيدات الأسلوبية

مثال : قال أبو العباس التميمي ، قال طاووس : "الكلمة الصالحة صدقة " [2]

وهنا انحصرت في طريقة واحدة هي طريقة القصر بالنفي و الاستثناء .

ج- الوسيلة الثالثة : المقابلة

متمثلة في أزواج المقابلات بين المضامين الإخبارية المستقلة أو المضمنة تركيبيا لتبدو حقيقة كل طرف حيال صاحبه ولهذا النوع من الحجاج وهذه الطريقة من طرق الإقناع العقلي وإن تفاوتت، مظاهر متنوعة .

ج-1- المقابلة بين الإثبات والنفي :

مثل : "تكثر من العلم لتعرف، وتقلل منه لتحفظ " .[3]

ج-2-المقابلة بين النفي والإثبات المؤكد:

مثل : "يكتب الرجل أحسن ما يسمع، و يحفظ أحسن ما يكتب" [4]

ج-3- المقابلة بين السبب و النتيجة المنطقية :

مثل :قول عمر بن عبد العزيز:" ما قرن شيء إلى شيء أفضل من حلم إلى علم ومن عفو إلى قدرة ".[5]

ويلاحظ أن النوع الأخير من المقابلة يعد أحدى الوسائل لتلك الغاية، فإذا كانت الوسيلتان الأوليتان تحملان تقوية للكلام، فإنما كان ذلك من منطق وجهة نظر المتكلم، في شكل قضايا إستدلالية وفي قالب محاجات منطقية، لا يشك العقل في صدقيتها، من أي وجه من الوجوه، وهنا يظهر "**البعد التداولي** ".

1- الجاحظ: البيان والتبيين. ج1، ص 258.

2- المصدر نفسه. ج1، ص 258.

3- المصدر نفسه. ج1، ص 258.

4-المصدر نفسه. ج1، ص 258.

5-المصدر نفسه. ج1، ص 258.

4 – ضوابط التداول الحجاجي:

هناك عدد من الضوابط الحجاجية التي يفترض في المرسل أن يلتزم بها و من هذه الضوابط ما يلي :

1– أن يكون الحجاج ضمن إطار الثوابت مثل: الثوابت الدينية و العرفية، فليس كل شيء قابل للنقاش أو الحجاج، فهناك كثير من المسلمات يجب إحترامها :

مثال: ضرب الحجاج أعناق أسرى، فلما قدموا إليه رجلا لتضرب عنقه قال : والله لأن كنا أسأنا في الذنب فما أحسنت في العفو ! فقال الحجاج :أف لهذه الجيف أما كان فيها أحد يحسن مثل هذا الكلام! و امسك عن القتل .و قال بشير الرجال:"إني لأجد في قلبي حرا لا يذهبه إلا برء العدل أو حر السنان " [1]

2– أن تكون دلالة الألفاظ محددة و المرجع الذي يحيل عليه الخطاب محدد لئلا ينشأ عن عدم التحديد الدقيق مشكلة في تأويل المصطلحات التي من قبل: الديمقراطية الشفافية الضبابية مثلا، بالرغم من أن هناك إقرار بصعوبة التحديد الدقيق الذي يجمع عليه كل الناس .

مثل:كتب عمر ابن الخطاب إلى سعد أبي وقاص: "يا سعد، سعد بني أهيب، إن الله إذا أحب عبدا حببه إلى خلقه، فاعتبر منزلتك من الله بمنزلتك من الناس، واعلم أن مالك عند الله مثل ما لله عندك "[2]

3– موافقة الحجاج لما يقبله العقل:

مثل :عزل عمر زيادا عن كتابة أبي موسى الأشعري، في بعض قدماته، فقال له زياد: أعن عجز أم عن خيانة ؟ قال: لا عن واحد منهما، ولكن أكره أن أحمل على العامة فظل عقلك .

4 – توفر المعارف المشتركة بين طرفي الخطاب، مما يسوغ قبول المرسل إليه الحجج المرسل أو إمكانية مناقشتها أو تنفيذها و إلا إنقطع الحجاج بينهما .

1–الجاحظ : البيان و التبيين .ج1، ص 259.

2- المصدر نفسه .ج1، ص 261.

مثل : قال رجل من بني مجاشع، جاء الحسن في دم كان فينا، فخطب فأجابه رجل فقال: قد تركت ذلك لله ولوجوهكم . فقال الحسن: لا تقل هكذا، بل قل: لله ثم لوجوهكم وآجرك الله " [1]

5- إمتلاك المرسل لثقافة واسعة، خصوصا ما يتعلق بالمجال الذي يدور ضمنه الحجاج، **مثل:** المجال الديني أو السياسي لأنه بدون ذلك الرصيد المعرفي لن يستطيع إيجاد دعوة أو تبني اعتراض معين، فتعوزه الحيلة للدفاع عما يراه .

مثل: سأل عمر إبن الخطاب رجلا عن شيء فقال: الله أعلم، فقال عمر: لقد شقينا إن كنا لا نعلم أن الله أعلم، إذا سئل أحدكم عن شيء لا يعلمه فليقل : لا أدري.[2]

6- ضرورة خلو الحجاج من الإبهام و المغالطة و الإبتعاد عنها و بهذه الضوابط التداولية يتضح أنه لا يشد الحجاج عما يتطلبه الخطاب من أهميته لمراعاة المرسل إلى هدف المرسل و العناصر السياقية الأخرى لأن أي إقناع يتواصل حتما بآليات متعددة يتفاوت إدراكها و الوعي بها من قبل المعنيين، بل قد يتعين المتكلم بعناصر يعلمها المخاطبون، لكنهم لا يتوقعون حضورها في مقامهم الخاص و هذا هو "**البعدالتداولي** ".

5- أنواع الحجاج :

ومن بين أنواع الحجاج التي يمكن نقلها عن الجاحظ في "كتاب البيان والتبيين" يلي:

-حدثنا محمد بن يحي بن علي بن عبد الحميد، عن عبد الله بن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر، قال : خرج الحجاج يريد العراق واليا عليها، في إثني عشر راكبا علي النجائب، حتى دخل الكوفة فجأة حين إنتشر النهار، وقد كان بشر بن مروان بعث المهلب إلي الحرورية، فبدأ الحجاج بالمسجد فدخله، ثم صعد المنبر وهو متلثم بعمامة خز حمراء، فقال: على بالناس ! فحسبوه وأصحابه خوارج، فهموا به، حتى إذا إجتمع الناس في المسجد قام فكشف عن وجهه، ثم قال :

أنا إبن جلا و طلاع الثنايا متى أضع العمامة تعرفونني .[3]

من هذا نستنتج أن هناك حجة التبرير largument depaspillage:

1- الجاحظ: البيان والتبيين.ج1، ص 261.

2- المصدر نفسه .ج1، ص 261.

3- المصدر نفسه .ج2، ص 208

فهنا قام الحجاج بالتحايل على الناس، وذلك بوضع العمامة كي لا يعرفوه، وبعد أن اجتمعا الناس من حوله، نزع العمامة و قام بالحجة عليهم " متى أضع العمامة تعرفوني "ثم أتم كلامه الحجاج وقال: "أما والله إني لا أحتمل الشر بحمله، وأحذوه بنعله وأجزيه بمثله وإني لا أرى رؤوسا قد أينعت وحان قطافها وإني لصاحبها، وإني لا أنظر إلى الدماء ترقرق بين العمائم و اللحى قد شمرت عن ساقها فشمرا.[1]

ومنهنا نستنتج حجة الإتجاه direction : وغرضها التحذير من إنتشار شيء ما، وهنا نرى أن الحجاج قام بتحذير الناس من الوقوع في الخطأ لأن الحجاج أراد أن يكون واليا على العراق فقام بتحذيرهم و تسليمهم له العراق لولايتها .

قيل لرقية: ما بال القراء أشد الناس نهمة و غلمة؟ قال : أما الغلمة فإنهم لا يزنون وأما النهمة فلأنهم يصومون .[2]

نستنتج من هنا الحجة التواجدية: وهي التي تبني على علاقة الشخص بعمل، يمكن القول بأن القراء بوصفهم شخوص في جوهرهم لا يزنون و عملهم ترك ما لا ينفعهم فهم يصومون و ذلك من تجليات حسن الإسلام و أنهم أشد الناس نهمة و غلمة.

* (.... أما و الله لألوحنكم لحو العصا، و لأعصبنكم عصب السلمة، و لأضربنكم ضرب غرائب الإبل، فإنكم لكأهل قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون. إني و الله لا أعد إلا وقيت ....).[3]

نستنتج من هنا "الحجةالإستشهادية "التي إستشهد بها الحجاج من القرآن الكريم فوصفهم بأهل القرية وغايته توضيح القاعدة وتكثيف حضور الأفكار في الذهن، وإنما كان الإستشهاد أداة لتحويل القاعدة من طبيعة مجردة إلى أخرى محسوسة، والقرآن الكريم فيما يقدم من أمثلة حجاجية أهم مصدر لهذه الأشكال الحجاجية .

*قال أبو الحسن: كتب الحجاج إبن يوسف إلى قطري إبن الفجاءة : "سلام عليك. أما بعد فإنك مرقت من الدين مروق السهم من الرمية، و قد علمت حيث تجرثمت، وذلك أنك

1- الجاحظ:البيان و التبيين .ج2، ص 312.

2- المصدر نفسه، ج2،ص:313

3- المصدر نفسه، ج2،ص 309.

عاص لله وبولاة أمره ، ..."وهنا نستنتج "حجة المثل" فمثل قطري إبن الفجاءة بالسهم في الرمية، إن الغاية من إعتمادها حجاجا هو تأسيس للقاعدة و البرهنة على صحتها .

ومن هنا نستنتج أنواع الحجاج التي وصفها الجاحظ في كتابه البيان والتبيين من خلال تحليل خطبة الحجاج هي :

حجة التبرير: وأداتها على العموم "بما أن" .

حجة الإتجاه : وغرضها التحذير من إنتشار شيء ما .

الحجة التواجدية : تبنى على علاقة الشخص بعمل .

حجة المثل: التأسيس للقاعدة و البرهنة على صحتها .

حجة الإستشهاد : توضيح القاعدة و تكثيف حضور الأفكار في الذهن.

الإستنتاج: نستنتج أن علاقة الحجاج بالتداولية يبرز تساؤل أساسي حول مناط المقاربة الحجاجية وأساسها: هل نلتمسه في اللسانيات أو البلاغة أو الأسلوبية ؟.

إن التداوليين المعاصرين ينظرون إلى الخطاب الحجاجي على أنه متميز بخصائص بنائية تواصلية تجعله مختلفا عن غيره من الخطابات السردية، الحكائية و الإخبارية.

كما أن صوره البنائية الإستدلالية الكلامية وخضوعه لشروط القول والتلقي والمقام والرغبة في التأثير والفعل كلها تكرس ذلك التميز من جهة .

وتعد الحوارية سمة أساسية في كل خطاب، لأن هذا الأخير لا ينتج بصفة فردية كان التخاطب والتواصل الحواريان في صلب كل عملية حجاجية، إلا أن الإتجاه الحجاجي الذي تأخذه هذه الظاهرة يبرز بوضوح أكثر على صعد التواصل الفكري.

وهذا ما إتضح مع " **التداولية المتعالية** "و"**التداولية العالمية** " إذ إن أساس الحجاج في منظور بعض هذه الاتجاهات الحوارية وما تتطلب من عمليات حجاجية تتنوع وتتباين تقنيا بتنوع وتباين أنماط التحاور ومراتب الحوارية، وقد شكل هذا الأساس دافعا دفع بعض الباحثين إلى إجراء تصنيفات ضمن الفعل الحواري تحت مبرر مراعاة الشروط السوسيو– لسانية– لكل صنف ولبعده التداولي الخاص .

المبحث الثاني؛ الأبعاد التداولية لعلم البيان:

*الأبعاد التداولية" لعلم البيان" في كتاب " البيان والتبيين " للجاحظ:

1- علم البيان: هو علم يعرف به إيراد "**المعنى** "الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه، ودلالة "**اللفظ**"على معناه أما على ما وضع له وتسمى دلالة وضعية، أو على غير ما وضع له، وتسمى "**دلالة عقلية**"، و شرط هذه الدلالة الأخيرة اللزوم الذهني بأن يكون حصول ما وضع له "**اللفظ**" في الذهن ملزوما لحصول الخارج فيه، لئلا يلزم ترجيح أحد المتساويين على الآخر، وهنا يظهر "**البعد التداولي**" عند الجاحظ.

وإيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه لا يتأتى بالدلالة الوضعية للفظ، لأن " **السامع** " إن كان عالما بوضع الألفاظ لم يكن بعضها أوضح دلالة من بعض ولا لم يكن واحدا منها دالا، وإنما يأتي هذا الإيراد بالدلالات العقلية، لجواز أن يكون للشيء لوازم بعضها أوضع لزوما من بعض، بأن تكون الوسائط بين "**اللازم** " و" **الملزوم** " في بعضها قليلة، و في بعضها كثيرة مما يختلف به وضوح الدلالة [1] .

ثم اللفظ المراد به لازم ما وضع له إن قامت قرينة على عدم إرادة ما وضع له فهو **مجاز**، وإلا **فكناية**، ثم المجاز منه **الإستعارة**، و إبتنائها على التشبيه، فتعين التعرض له في هذا العلم، وبذلك يكون هدف هذا العلم الأساسي " **غائي و تداولي**".

فموضوع علم البيان – كما هو معروف – هو دلالة "**اللفظ**" على معناه ومدى وضوح هذه الدلالة، وإختلاف درجة هذا الوضوح.

والبحث في هذا العلم هو البحث حول المعاني المختبئة في الصدور، وكيفية إبرازها و الإبانة عنها في معارض مختلفة و متعددة في وضوح الدلالة عليها.

وإذا كان "**الجاحظ**" قد عبر عن المعاني بأنها ميسورة معروفة، يستوي فيها الخاصة والعامة، وأنها مطروحة في الطريق، فذلك لكي يبرز ما للصياغة من أهمية في صناعة الأدب، ولكنه على الرغم من هذا لم يهمل جانب المعنى، ودلالة اللفظ عليه إهمالا كليا، كما قد يبدو من عبارته، فقد تعرض للمعاني وذكر منها: الغريب والعجيب والبديع والمخترع، وبين أن من هذه المعاني ما عبر عنه الشعراء تعبيرا فريدا لا يستطاع مجاراته أو معارضته، كما سبق توضيح ذلك .

كما تعرض لدلالة اللفظ على معناه، واختلافها من تشبيه ومجاز وكناية، إلا أن حديثه عن هذه الصور البيانية في كتابه" **الحيوان** " أكثر مادة من حديثه عنها في "**البيان والتبيين** " .

1-2- التشبيه: عند البلاغيين هو الدلالة على مشاركة أمرا لأمر آخر في المعنى بأداة التشبيه، و قد أكثر الجاحظ من حديثه عن التشبيه بمعناه الإصطلاحي نفسه، وأول ما أشار إليه هو المقصود الأهم من التشبيه، وبذلك يكون هدف التشبيه هنا "**غائي تداولي**".

ومن أهم الأغراض التي يظهر فيها "**البعد التداولي**" ما يلي:

- فأهم مقاصد التشبيه هو الإيجاز في عرض المعاني، و ذلك لأن قولك : محمد كالبحر جودا أوجز من أي عبارة تؤدي هذا المعنى الذي تضمنه التشبيه، أو وصف المشبه بالكثير من الصفات .

هناالتشبيه مرسل مفصل، حيث شبه محمد بالبحر في الجود، كما تحدث عن الإيجاز وبلوغ المعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة، وألمح أن التشبيه من أهم ما يؤدي إلى الإيجاز، ومن أمثلته : **قول الشاعر يصف ناقته :**

-خرقاء إلا أنها صناع -

فهنا وصف سرعة نقل يديها ورجليها أنها تشبه المرأة الخرقاء، وهي الخرقاء في أمرها الطايشة .[1]

و أفصح عن وجه الشبه في هذا التشبيه بأن الشاعر وصف الناقة في هذا البيت بالنشاط والقوة وهنا يظهر "**البعد التداولي**" للتشبيه.

- وقد عقد الجاحظ باب في " **البيان و التبيين** " للتشبيه نعته "**باب من الشعر**" فيه تشبيه الشيء بالشيء أتى فيه بمثالين للتشبيه إختلفت فيهما الأداة .

المثال الأول :أداته "**مثل** " قول الشاعر :

بدأ البرق من نحو الحجاز فشاقني وكل حجازي له البرق شائـق

سرى **مثل** نبض البرق والليل دونه وأعلام أبلى كلها والأسالـق [2]

1- الجاحظ: البيان والتبيين. ج1، ص: 15

2- المصدر نفسه، ج1، ص: 328.

المثال الثاني: أداته "**الكاف**"قول الشاعر:

أرقـت لبرق آخر الليـل يلمــع سرى دائبا حينا يهب و يهيــج

سرى **كإحتساء** الطير و الليل ضارب بأوراقه و الصبح قد كان يسطع[1]

أشار إلى أن التشبيه لا بد أن تكون فيه أداة التشبيه كشرط لكي يتحقق التشبيه، وأن الأداة تكون مختلفة يمكن أن تكون إسم مثل: "**كمثل**"أو حرف مثل: "**الكاف**".

- كما أشار الجاحظ إلى طرفي التشبيه وهما المشبه والمشبه به فهما يشتركان في أمور كثيرة.

ففي حديثه عن فصاحة الرسول صلى الله عليه وسلم وما ورد في أحاديثه من تشبيهات رائقة، يشير إلى أن تشبيهاته جاءت في محزها، وأصابت غرضها حيث كان المشبه به أعرف بوجه الشبه، وهنا يكمن "**البعد التداولي** " .

و هنا يشير "**الجاحظ**"إلى مسألة مهمة، وهي أنه لا تكفي الشهرة بوجه الشبه في المشبه به حتى يصيب التشبيه موضعه، بل ينبغي ألا يوهم في ذهن السامع ما يبعد عن وجه الشبه المقصود، **فيقول** : فمن كلامه صلى الله عليه وسلم :" الناس كلهم سواء كأسنان المشط "،[2] فقد أصابه المحز بهذا التشبيه، و أعطى السامع صورة لما يقصده من عدم التفاضل بين الناس على إختلاف أجناسهم وألوانهم، لم يوهم شيئا غير المقصود و هنا "**بعد تداولي** ".

قال الشاعر في هذا المعنى :

سواء كأسنان الحمار فلا ترى لذي شيبة منهم على ناسيء فضلا

وقال آخر :

شبابهم وشيبتهم ســــــواء فهم فـي اللؤم أسنــان الحمــــــار

وإذا حصلت تشبيه كلا الشاعرين وحقيقته، وتشبيه النبي صلى الله عليه وسلم وحقيقته عرفت فصل ما بين الكلامين. [3]

فقد أوهم التشبيه في البيتين ذما غير مقصود، مع عدم إصابته و دقته، مما لا نجده في كلام النبي صلى الله عليه وسلم وهنا يظهر "**البعد التداولي**" لهذين البيتين .

1- الجاحظ : البيان و التبيين. ج2، ص: 328.

2- المصدر نفسه. ج2، ص: 19.

3- المصدر نفسه .ج2، ص: 19.

• ضرب "**الجاحظ**" بعض الأمثلة على وضوح وجه الشبه و شهرته في بعض الأشياء، فقد شبه بالقناة في الشدة و الإستقامة فيقال: رجل كالقناة، وفرس كالقناة وهنا تشبيه بليغ حيث شبه الرجل بالقناة في الإستقامة، و كذا الفرس بالقناة في الإستقامة.

قال الشاعر :

متى ما يجيء يوما إلى المال وارثي يجد جمع كف غير ملأي ولا صفر [1]

جمع كف- بالظم - وهو قدر أن تجمع أصابعها ونضمها.

يجد فرسا مثل القناة و صارمـــــا حساما إذا ما هز لم يرضى بالهبـر [2]

و لهذا القصد أيضا شبهت عظام المرأة بالخيزران في لينها وتمايلها إذا كانت الخيزران أعرف بهذا المعنى من أي شيء آخر، و ذلك قول الشاعر: [3]

إذا قامت لحاجتها تثفـت كأن عظامها من خيـــزران

إن فضائل التشبيه كثيرة منها أنه يأتيك من الشيء الواحد بأشباه عدة نحو أن يعطيك من الزند بإراده الجواد و الذكي والنجع في الأمور، و شبه البخيل والبليد والخيبة في السعي، ومن القمر يأتيك بالكمال بعد النقصان، و النقصان بعد الكمال، وتتفرع من حاله كما له، ونقصه فروع لطيفة .

• ومن بين الأمثلة التي تنبأ بها "**الجاحظ**" فالشيء الواحد شبه به في أمور عدة، كالغصن، مرة يشبه به في النظارة و كثرة الإيراق ، كما في قول الشاعر :

رأيت الغانيـات نفرنـا منـي نفارى الوحش من رام مفيـق

رأينا تغيري و أردنا لدنـــا لغصن البان ذي الفنن الوريـق [4]

و مرة يجعل قضيبا يشبه به في العرى وفقدان النظارة، كقول أبي العتاهية:

عربت من الشباب وكنت غضا كما يعرى من الورق القضيـب

ألا ليت الشباب يعود يومـــــا فأخبره بمـا فعـل المشيـــــب [5]

1- الجاحظ: البيان والتبيين.ج2،ص: 59.

2-الهبر:قطع اللحم.

3-المصدر نفسه .ج3،ص: 62

4- المصدر نفسه.ج2،ص: 82.

2- المصدر نفسه .ج2،ص: 82.

ومن الأمور التي تجعل التشبيه بعيدا غريبا أن يندر حضور صورة المشبه به في الذهن عند استحضار صورة المشبه، لما يكون من بعد التناسب بين الصورتين، وقد المح "**الجاحظ** "إلي هذه الصورة فيما رواه من قول أبي زبيد الطائي في صفة الأسد:

للصدر منه عويل فيه حشرجــة كأنما هو من أحشاء مصــدور [1]

"**فالبعد التداولي** "واضح في هذا التشبيه، إذ أن حضور صورة المشبه به وهو صوت أحشاء المصدور، مما يندر عند استحضار صورة المشبه، وهو صوت الأسد وعويله.

والأصل في التشبيه أن يشبه الشيء بما هو أبين منه وأوضح، أو بما هو أحسن منه أو أقبح، وكذلك يشبه الأقل بالأكثر، ويلحق الأدنى بالأعلى.

وقد أفصح" **الجاحظ** "عن هذه الصورة التشبيهية المقلوبة عند تعرضه لقول بشر إبن أبي حازم :

لله در بــني الحداء من نفـــر وكل حار على جيرانه كلـــب

إذا غدوا وعصى الطلح أرجلهم كما تنصب وسط البيعة الطلب

ف "**البعدالتداولي** "هنا واضح، فعصى الطلح مشهورة بالإعوجاج، فيشبه بها في هذا المعنى، لكونها أعرف به وقد قصد الشاعر إلى تشبيه أرجل هؤلاء القوم في إعوجاجها بعصى الطلح، فالشاعر يعني أنهم كانوا عرجانا، فأرجلهم مثل عصى الطلح، وعصى الطلح معوجة، ولكنه لم يأتي بالتشبيه على أصله، وجاء به مقلوبا .

- وكذا من شواهد "**الجاحظ**" التشبيهية، التي لم ترد صراحة تحت عنوان التشبيه،في "**البيان والتبيين**" قول بشار إبن برد في تشبيه عنق وأصل بن عطاء بنقنق الدّو:

مالي أشيع غـزالا له عنــقٌ كنقنق الــدّو أن ولى وأن مثلا

وقول عنترة العبسي حين جعل نعيب الغراب خبرا للزاجر :

حرقُ الجناح كان لحيي رأسه جلمانُ بالأخبار هــشٌ مولــعُ

قال "**الجاحظ**": شبه لحييه بالجملمين، لأن الغراب يُخبر بالفرقة والغربة ويقطع كما يقطع الجلمان والحرق الأسود. وقول أبي الطّمحان القيني في ذكر لقمان :

أمست بنو القين أفراقا موزعة كأنهم من بقايا، حـيّ لـقمان[2]

---

1 - الجاحظ : البيان و التبيين.ج1،ص: 257.

2- المصدر نفسه.ج1،ص: 187.

هنا شبه تفرق بني القين كتفرق بقايا ،حيّ لقمان.

وقال الشاعر: حين شبه صغر كفّ المهجو بأصغر من كف الضّب، كما عاب صغر رأسه علي حد قول "**الجاحظ** ".

فقلبتُ رأسا لم يكن رأس سيّد وكفا ككفّ الضبّ، أوهي أحقر [1]

كما شبه الإنسان بالنجم، قال في ذلك إبن عسلة الشيباني :

فصحوت والنّمريّ يحسبها عمّ السّماك وخالة النجيـم

قال" **الجاحظ**": النجم واحد وجمعٌ والنّجم هو الثريا في كلام العرب.[2]

1-3-**الإستعارة:** الإستعارة في عرف البلاغيين هي: إستعمال"**اللفظ**" في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة بين تشبيه أضمر أحد طرفيه المشبه أو المشبه به، فإن صرح بالمشبه وأضمر المشبه به وكني عنه بذكر أحد لوازمه أو خصوصياته **فالإستعارة مكنية،** ثم **الإستعارة التصريحية** إن كان لفظ المشبه به إسم جنس فاصله، وإن كان تابعا لإسم الجنس كالأفعال والصفات المشتقة منها والحروف فتبعية، وتسمى **إستعارة تمثيلية** إن كان اللفظ المستعار مركبا دالا على هيئة .

وقد أشار "**الجاحظ**" في كتابه إلى تعريف الإستعارة، و أتى في لمحات دالة على كل أقسامها بل شمل حديثه ما يسمى" **بالإستعارة العنادية**" فأول ما يلقانا من ذلك تعريفه للإستعارة، فقد عرفها بأنها: "تسمية الشيء بإسم غيره إذ قام مقامه " [3]

وقد جاء تعريفه للإستعارة في معرض حديثه عن "**الإستعارة التبعية** " في قول الشاعر:

أدار قـد غيرها بلاها كأنما بقلم محاهـــا

أخربها عمران من بناها وكر ممساها على معناهـا

وطفقت سحابة تغشاهـا تبكي على عراصها عيناها [4]

يقول طفقت: يعني ظلت تبكي على عراصها عيناها، عيناها هنا للسحاب وجعل المطر بكاء على طريق الإستعارة، وتسمية الشيء بإسم غيره إذا قام مقامه، ويقال لكل جدية

1- الجاحظ: البيان والتبيين.ج1،ص: 94.

2- المصدر نفسه.ج1،ص: 229.

3- المصدر نفسه.ج1،ص: 153.

4- المصدر نفسه.ج1،ص: 153.

متفتقة ليس فيها بناء عرصه . و هي " **إستعارة تصريحية** "، إذ أجروا الإستعارة في القرينة، أي في مثل" **تبكي**" في البيت و قد تكون "**مكنية** " إذا أجروا الإستعارة في السحابة و قد كان تعليق" **الجاحظ** "على البيت الثاني من الأبيات الثلاثة تحليلا وافيا للإستعارة التي سماها البلاغيون إستعارة عنادية " **تهكمية أو تلميحية** " وهي : ما إستعمل فيه الشيء في ضد معناه أو نقيضه، بتنزيل الضاد أو التناقض منزلة التناسب بواسطة التهكم أو التلميح وهنا يظهر "**البعد التداولي** "لهذه الإستعارة .

و يسوق مثالا آخر للإستدلال على هذه الإستعارة وتوضيحها، وذلك قول الشاعر :

يا عجل الرحمان بالعذاب لعامرات البيت بالخراب

يعلق على البيت لقوله :" يعني: الفأر يقول: هذا عمرانها كما يقول الرجل ما نرى من خيرك ورفدك إلا ما يبلغنا من خطبك علينا و فتك أعضادنا "

و من تعليق "**الجاحظ** "على البيت الشعري قد أوضح معنى الإستعارة العنادية بصورة لا لبس فيها و لا غموض.[1]

- ومن أمثلة "**الإستعارة التصريحية الأصلية** ": قول النمر بن تولب :

أعاذل أن يصبح صداي بقفرة بعيدا نآني صاحبي و قريبـــي

ترى أن ما أبقيت لم أك ربـــه وأن الذي أمضيت كان نصيبي

يقول الصدى ها هنا :"طائر يخرج من هامة الميت إذا بلى، فينعى إليه ضعفه ولييه وعجزه عن طلب طائلته وهذا كانت تقوله الجاهلية، وهو هنا مستعار أي أصبحت أنا "[2]

فالإستعارة هنا في إسم الجنس كما هو واضح حيث أستعير الصدى للمتكلم " **البعد التداولي**" و كلامه واضح في إبراز هذا المفهوم.

- ومن أمثلة "**الإستعارة التمثيلية**":

فيذكر أن الناس لما بايعوا يزيد بن الوليد و أتاه الخبر عن مروان إبن محمد ببعض التلكؤ والتحيس كتب إليه " بإسم الله الرحمان الرحيم، من عبد الله أمير المؤمنين يزيد إبن الوليد إلى مروان إبن محمد، أما بعد، فإني أراك تقدم رجلا و تؤخر أخرى، فإذا أتاك كتابي هذا فأعتمد على أيهما شئت والسلام " [3].

1- الجاحظ : البيان و التبيين.ج1،ص: 152.

2-المصدر نفسه.ج1،ص: 284.

3- المصدر نفسه.ج1،ص: 302.

و هنا شبه صورة تردده في المبايعة بصورة تردد من قام ليذهب في أمره، فتارة يريد الذهاب فيقدم رجلا، و تارة لا يريد فيؤخر أخرى، ثم أستعير اللفظ الدال على المشبه به على طريق الإستعارة التمثيلية .

وفي حديثه عن العصا وما فيها من منافع وكيف كان يشبه بها، يذكر هذا البيت في الإستعارة التمثيلية:

إن الغصون إذا قومتها إعتدلت ولن تلين إذا قومتها الخشب[1]

فالبيت على تشبيه تعليم الأولاد و تربيتهم في الصغر للغصون النضرة الرطبة إذا أريد تقويمها كان ذلك سهلا ميسورا، كما شبه تعليم الأولاد و تقويمهم في الكبر بمحاولة تقويم ما أعوج من الخشب، فإن ذلك أمر صعب لا يأتي بسهولة ثم إستعيرت الهيئة التركيبية الدالة على المشبه به للمشبه .

و قد عرض "**الجاحظ** "في كتابه كثيرا من الأمثال الواردة، وأفصح عن التشبيه الذي تقوم عليه هذه الأمثال، ففي المثل "فلان واسع السرب "، وقد رواه معلقا عليه بقوله: فلان واسع السرب وخلى السرب، أي المسالك والمذاهب وإنما هوة مثل مضروب للصدر والقلب وعن الأصمع : فلان و اسع السرب – مكسور– أي واسع الصدر: بطيء الغضب " [2].

فإتساع الصدر مشبه، وإتساع المسالك مشبه به، وقد إستعيرت الهيئة الدالة على المشبه به للمشبه على طريق الإستعارة التمثيلية.

و من كلام الرسول صلى الله عليه وسلم، يذكر الجاحظ طائفة من الأمثال، مما لم يسبقه إليه عربي، ولا شاركه فيه أعجمي و لم يدع لأحد، ولا إدعاه أحد مما صار مستعملا و مثلا سائرا، فمن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: يا خيل الله إركبي"، وقوله: "مات حنف أنفه "، وقوله : "لا تنتطح فيه عنزتان " وقوله: "الآن حمي الوطيس " وغير هذا كثير، وكله يدخل في باب الإستعارة التمثيلية .

وهكذا نجد أن الجاحظ قد طوف بآفاق الإستعارة بدأ من تعريفها الذي لم يزد عليه المتأخرون شيئا، ثم ذكر معضم أقسامها، فاتحا الباب أمام البلاغيين للحديث عن معظم هذه الأقسام؛ حيث و ضعوا التحديد والتعريف لكل قسم منها .

1- الجاحظ : البيان و التبيين.ج2،ص: 83.

2- المصدر نفسه.ج1،ص: 279.

• ومن بليغ شواهد" **الجاحظ الشعرية**" على الإستعارة، وقد جعلها تحت عنوان الإشارة قول الشاعر:

أشارت بطرف العين خيفة أهلها إشارة مذعور و لم تتكلـم

فأيقنت أن الطرف قد قال مرحبا وأهلا و سهلا بالحبيب المتيم [1]

ف" **البعد التداولي**" هنا أن الشاعر أنطق الطرف، وجعل الإشارة أبعد مبلغ الصوت.

ومن بديع الشواهد استعارة الشاعر صوتا للعصى، قال حندل الطهوي :

حتى إذا دارت رحى لا تجري صاحت عصيّ من قنا و سدر [2]

ومن المعروف، في ذلك الزمن، أن قرع العصا يعني حدوث أمر جلل وكلما قوي صوتها حمي وطيس الضراب، والعصيّ الجوفاء كالقنا من الرماح تصدر أصوات مخيفة فبالك بصوت السدر شجر النيق الصامد.

والعصا لا تصيح وصوتها يعني بداية رحى حرب، فإستعارة لها الصياح لإبانة الصراع و هي إستعارة بليغة.

• يتبن لنا، أن "**الجاحظ** "سمى الإستعارة وأعتبرها مجازا و إستعمالاته كانت على التشبيه، وعلى المثل، وعلى الإشتقاق وكان يعني بها الإستعارة أو المجاز لمعناه العام.كما لمح إلى أجزاء الإستعارة.

ولا يخفى أن الإستعارة هي مجاز مرسل علاقته المشابهة وكلمة التشبيه ترد عند تحليل الإستعارة أو إجرائها، ثم هي في حقيقتها تشبيه حذف أحد طرفيه.

ف "**الجاحظ**" يشير إلا أن " **البعد التداولي** " للإستعارة هي أن يكون وجه الشبه بين المستعار له والمستعار منه واضح، أو أن يكون من الأمور المتعارف عليها بين طرفي الخطاب، لأن ذلك يؤدي إلى غموض الإستعارة، فيصعب وصول قصد "**المتكلم** "من كلامه إلى ذهن "**السامع** ".

1-3 المجاز:

أ-لغة:

1- الجاحظ : البيان و التبيين .ج1،ص: 78-219.

2- المصدر نفسه.ج3،ص: 15.

هو الموضع جزت الطريق، و جاز الموضع جوازا و مجازا أي سار فيه وسلكه [1] ومن أمثلة "**الجاحظ** "و شواهده على المجاز العقلي في كتابه "**البيان و التبيين**" قول الصعب إبن على الكناني عند إشارته إلى سرعة الجائع كسرة أمير النحل المجّرب :

أبلغ فزارة أن الذئب آكلهـــا وجائع صغب شرٌ مـــــن الذّيب

أزل أطلس ذو نفس محكّكـة قد كان طار زمانا في اليعاسيب[2]

فالمجاز هنا فزارة، و"**البعد التداولي**" قصد به أبناء فزارة أي القوم، وآكلها يعني أكل مواشي أبناء فزارة وكني (بطار زمانا في اليعاسيب) عن مبلغ سرعته .

1-4 الكناية:

أ- لغة: أن تتكلم بشيء وتريد غيره [3].

ب-إصطلاحا: لفظ أريد به غير معناه الذي وضع له، مع جواز إرادة المعنى لعدم وجود قرينة ما نعة من إرادته.[4]

الكناية لفظ أطلق وأريد به لازم معناه، مع قرينة ليست مانعة من إرادة اللازم مع الملزوم، وهي ثلاث أقسام، لأن المطلوب بها إما صفة، أوموصوف، أوشبه صفة لموصوف والمراد بالصفة : "**الصفة المعنوية**"، كالجود والكرم والشجاعة وأمثالها، لا النعت.

و "**الجاحظ**" بإدراكه لفضية الكناية، وأن لها مدخلا في بلاغة الكلام أدار حديثه عنها لما يشمل أقسامها الثلاثة.

ففي "**الكناية عن صفة**" ينقل عن شريح قوله : " الحدة : كناية عن الجهل"

- عن أبي عبيدة قوله " العارضة كناية عن البلاء "، وإذا قالوا : فلان مقتصد
- فتلك كناية عن البخل ، و إذا قالوا للعامل مستقصى ، فتلك كناية عن الجور" [5]

وفي حديثه عن العصا و مالها من فضائل عند العرب وغيرهم لم يفته أن يشير إلى المعاني التي يكنى عنها بذكر العصا، فذكر العصا عندهم يجري في معاني كثيرة، يقال: طارت عصى فلان شققا، وهو كناية عن التفرق، كما هو واضح، و قال الأسدى :

1- ابن منظور: لسان العرب.مادة جوز، مج5، ص: 326.

2- الجاحظ : البيان و التبيين .ج1،ص: 204.

3- ابن منظور: المرجع السابق ، مادة كنى .دار صادر بيروت،ج15،ص: 233.

4- القزويني:الايضاح في علوم البلاغة . تحق:محمد عبد المنعم خفاجي،دار الكتاب العربي بيروت،ط4، ص: 406.

5- الجاحظ : المصدر نفسه.ج1،ص: 263.

عصى الشمل من أسد أراها قد إنصدعت كما إنصدعا الزجاج

فعصى الشمل كناية عن الجمع والإلتآم، ويقال: فلان شقى عصا المسلمين، وهو كناية عن التفرق والإختلاف، ولا يقال: شق ثوبا ولا غير ذلك مما يقع عليه إسم الشق وقال الشاعر:

فألقت عصاها وإستقر بها النوى كمـا قر عينا بالإياب المسافر [1].

يعني كناية عن الإستقامة و الإستقرار .

و تقول العرب في مديح الرجل الجلد الذي لا يفتات عليه بالرأي: "ذلك الفحل لا يقرع أنفه " يعني كناية عن التمسك بالرأي وهذا الكلام يقال للخاطب إذا كان على هذه الصفة ولأن الفحل اللئيم إذا أراد الضراب ضربوا أنفه بالعصا .[2]

وقد أفاض" **الجاحظ** "في حديثه عن الكناية "**عن صفة** "، وضرب الأمثلة العديدة لها فمن ذلك الكناية بضعف العصا عن الإشفاق والرحمة، وصلابتها عن القوة ولينها عن الفشل والإفلاس هذا هو "**البعد التداولي**" لهذا المثال.

يقول، يقال للراعي: " إنه لضعيف العصا، إذا كان قليل الضرب بها للإبل، شديد الإشفاق عليها "، وقال الراعي:

ضعيف العصا بادية العروق ترى له عليها إذا ما أجدب الناس إصبعا

فإذا كان الراعي جلدا قويا عليها، قالوا: صلب العصا، و لذلك قال الراجز:

- صلب العصا باقي على أذاتها –
- و قال الآخر في معنى الراعي :
- لا تضرباها و أشهر العصا –

و يقولون :" قد أقبل فلان ولانت عصاه، إذا أصابه السواف، فرجع وليس معه إلا عصاه، لأنه لا يفارقها، كانت له إبل أم لم تكن " .[3] إلى غير ذلك من الأمثلة .

- أما الكناية المطلوب بها " **موصوف**"فقد أشار "**الجاحظ**" إلى كثير من أمثلتها و علق على كثير منها، عن فهمه لهذا القسم من الكناية، وإختلافها عن سابقتها، فمن ذلك ما رواه من قول الهذلي :

1- الجاحظ : البيان و التبيين..ج3،ص: 39.

2- المصدر نفسه .ج3،ص: 44.

3- المصدر نفسه.ج3،ص: 52.

أعامر لا ألوك إلا مهندا و جلد أبي عجل وثيق القبائل.

ثم قال : يعني بأبي عجل : الثور، و معلوم أن الثور ليس بصفة ولا نسبة، وإنما هو موصوف، كما يكنا برأس العصا عن صغير الرأس فالعرب تسمي كل صغير الرأس: رأس العصا، و كان عمر بن هبيرة صغير الرأس، فقال سويد بن الحارث :

من مبلغ رأس العصا أن بيننا ضغائن لا تنسى و إن قيل سلت

رضيت لقيس بالقليل و لم تكن أخا راضيا لو أن فعلك زلـــــت [1]

- أما القسم الثالث، وهو " **الكناية عن نسبة** "، فقد كان حديث" **الجاحظ** "عنه واضحا لا غموض فيه، بدل على أصالة ذوقه و دقة فهمه في التمييز بين مرامي هذه الأنواع الثلاثة.

فقد أبرز هذا النوع في تعليقه على قول الشاعر :

إذا أحضرت نعال بني غراب بغـوا و وجدتهم أسرى لئاما.

يقول:" فلم يرد صفة النعل، و إنما أراد أنهم إذا أحضرت الأرض، وأخصبوا طفوا وبغوا"[2]

فالمقصود من هذه الكناية نسبة الإخضرار إلى الأرض، فأثبتها للنعال، لينتقل الذهن إلى نسبتها إلى الأرض يعني" **البعد التداولي**" لهذه الكناية، وهي كناية عن نسبة.

وقوله :

وكيف أرجى أن أسود عشيرتي وأمي من سلمى أبوها وخاله

رأيتكم سوادا جعـــادا ومـــالك مخضرة بيض سباط نعـالها

يقول:" فلم يذهب إلى مديح النعال في أنفسها، وإنما ذهب إلى سباطة أرجلهم وأقدامهم،

و نفى الجع ود والقصر عنهم، و إذا مدح الشاعر النعل بالجودة فقد بدأ بمدح لآسها قبل أن يمدحها" [3].

فالكناية عند الجاحظ تقابل الإفصاح والتصريح إذا إقتضى الحال وساق بعض الشواهد منها : قال صفوان الأنصاري:

1- الجاحظ: البيان والتبيين. ج3،ص: 56-57.

2- المصدر نفسه .ج3،ص: 106

3- المصدر نفسه.ج3،ص: 107-110.

ولا الناطقُ أنّخّار و الشيخ دغفل إذا وصلوا أيمانهم بالمخاصر[1]

كن الشاعر بوصل الأيدي بالعصي و الإمساك بها عن تأهبه للخطابة.

وقال حارث بن بدر، لما تحالفت الأزد و ربيعة :

لا تحسبن فؤادي طائرا فزعا إذا تحالفا ضب البر والنون[2]

فكن عن الأزد بضب البر و بربيعة بالنون وهو الحوت البحري، ومن المعروف أن هذا التحالف محال، وفي الأخير فأهم ما يمكن أن نشير إليه" **للبعد التداولي**" عند "**الجاحظ** "، من خلال رصده طريقة الإنتقال من المعنى الحرفي والمباشر إلى المعنى الثاني والذي يمثل قصد أو معنى "**المتكلم** "، وذلك بطريقة تقارب ما جاء عند "**جرايس** " بـ: "**الإستلزام الحواري أو التخاطبي**".

1- الجاحظ: البيان والتبيين. ج1،ص: 25.

2- المصدر نفسه.ج4،ص: 66

المبحث الثالث؛الأبعاد التداولية لعلم المعاني

- **الأبعاد التداولية لعلم المعاني في كتاب "البيان والتبيين" للجاحظ:**

إن دراسة "**الجاحظ**" لظاهرة الأفعال الكلامية هو ضمن مباحث "**علم المعاني**"، الذي إختص بدراسة "**التراكيب المفيدة**"، ويتضح ذلك بتعريفه "لعلم المعاني"بأنه: "ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني، ويوازن بينها وبين أقدار الحالات، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما ولكل حالة من ذلك مقاما، حتى يقسم أقدار الكلام علي أقدار المعاني ويقسم أقدار المعاني علي أقدار المقمات و أقدار السامعين علي أقدار تلك الحالات".[1]

حيث يكون وجوب إفهام سهل المتلقي القصد إنتاج الخطاب بين طرفين مرهون يفهم مقاصد المرسل من قبل المرسل إليه لذلك إستوجبت أن تكون لديهم كفاءة لغوية ومعرفية لتحقيق ذلك.

وقد قسم هذا النوع من التراكيب إلى قسمين:

-إما أن يكون خبر.

-وإما أن يكون طلب.

إنحصرت جهود البلاغيين، الذين تلوه، في جمع علوم البلاغة أو ترتيبها أو اختصارها أو شرحها أو التوسع بها. [2]، فعلم المعاني علم تعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال.

ومباحثه الثمانية من شأنها إن تبين وجوب مطابقة الكلام لحال **السامع** ومكانه وزمانه وتفيد أن القول لا يكون بليغا حتى يلائم المقام كالذي قيل فيه، والكلام لا يكونك إلا **خبرا أو إنشاء** .

فإذا كان خبرا لا بد له من إسناد ومسند إليه و المسند قد يكون له متعلقات إذا كان فعلا أو ما في معناه، وكل من التعليق و الإسناد قد يكون بقصر وقد لا يكون، والجملة إذا قرنت بأخرى فالثانية إما معطوفة على الأولى أولا، ويسمى ذلك الوصل والفصل والكلام البليغ إما ناقص عن أصل المراد "**إيجاز**" أو زائد "**إطناب**"**أو مساو...**

1- الجاحظ : البيان و التبيين .ج1، ص: 139-138.

2- الأيوبي ياسين:من محاضرات في كلية الآداب،الفرع الثالث،قسم دبلوم الدراسات العليا طرابلس86/2/27.

والخبر ما إحتمل الصدق والكذب والإنشاء بخلافه.

1-علم المعاني:

لقد إمتزجت مسائل العلوم البلاغية عند "**الجاحظ**"إمتزاجا واضحا في معظم حالاتها، قال"**أبو عثمان**": ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني، ويوازي بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما ولكل حالة من ذلك مقاما، حتى يقسم أقدار الكلام علي أقدار المعاني و يقسم أقدار المعاني علي أقدار المقامات وأقدار السامعين علي أقدار تلك الحالات . [1]

حيث يكون وجوب إفهام سهل المتلقي القصد لأن إنتاج الخطاب بين طرفين مرهون بفهم مقاصد المرسل من قبل المرسل إليه لذلك إستوجبت أن تكون لديهم كفاءة لغوية ومعرفية لتحقيق ذلك .

1-1- الإيجاز :

* الإيجاز "**لغة**": وجُز الكلام وجازة ووجزا و أوجز :قلقي بلاغة ، وأوجزه:اختصره .

جاء في شروح التلخيص، "**لغة**": التقصير، يقال: أوجزت الكلام أي قصرته، يستعمل لازما و متعديا. [2]

***إصطلاحا:** هو أداء المقصود بأقل من عبارة **المتعارف**[3].

- ومن أمثلة "**الجاحظ**" في الإيجاز من خلال كتابه "**البيان والتبيين** " ما يلي:

- أنشد أبو قطن الغنوي الذي يقال له شهيد الكرام، وكان أبين من رآه "**الجاحظ**" من أهل البدو و الحضر:

جُفات المحزلا يصيبون مفصلا ولا يأكلون اللحــم إلا تخــذُما. [4]

"**فالبعد التداولي**" في هذا البيت، إن المعنى الحقيقي إذا آكلو اللحم على موائدهم لم يتناولوه إلا قطعا بالسكاكين لا نهشا بالأسنان فاجازو هذا الكلام كله في بيت شعري

1- الجاحظ : البيان و التبيين .ج1، ص: 138-139.

2- التفتازني سعد الدين: شروح التلخيص. مج3، ص: 159.

3- السيوطي: عقود الجمال .ص:60.

4- الجاحظ : المرجع السابق .ج1، ص: 107-108.

فتعليق الجاحظ علي هذا البيت أنهم ملوك وأشباه ملوك ولهم كُفاةٌ لا يحسنون أصابت المفصل، يعني هذا أن الملوك وأشباه الملوك لا يأكلون اللحم بأيديهم ولكن يقطعونه بالسكاكين قطع قطع وهذا إيجاز.

وفي شبيه هذا المعنى قال الراعي :

فطبقن عُرض القُف جز عنه كما طبقت في العظم مُديةُ جازر[1]

وهنا الكلام عند "**الجاحظ**" إذا طال أو كثر في بعض الحالات، فلا يخرج عن تسميته بالإيجاز عند الجاحظ، لأنه **بعد تداولي** يصل إلي منتهى البغية.

يقول الراجز :

إذا غدت سعدُ علي شبيبهـا علي فتاها وعلى خطيبهـا

من مطلع الشمس إلى مغيبها عجبت من كثرتها و طيبها[2]

- ومن شواهد "**الجاحظ**" في الإيجاز قول الشاعر:

لكل هلاليُ من اللؤم برقـعُ ولا بن هلال بُقعُو قميصُ[3]

وهذا "**الإيجاز**" معناه: أن رجل من محارب قيس، دخل على عبد الله بن يزيد الهاد لي وهو عامل على أرمينية، وقد بات في موضع قريب من غدير الضفادع، فقال عبد الله للمحاربين: ما تركنا أشياخ محارب تنام في هذه الليلة لشدة أصواتها، فقال المحاربي : أصلح الله الأمير أنها أضلت برقعا لها فأجاز هذا الكلام كله في بيت شعري واحد بسيط و مفيد.

-قال أبو وجزة السعدي،من سعد بن بكر يصف كلام رجل:

يكفي قليل كلامه و كثيـره بثت إذا طال النضالُ مصيب[4]

وكذا قول الشاعر العكلي: يصف القوس.

في كفه معـطية منوع موثقة صـابرة جـزوعُ[5]

هنا يصف الشاعر القوس بأنها سهلة على باريها ترنُ أو تؤزُ عند الانقباض وهنا يظهر "**البعد التداولي**" وهو إيجاز في وصف القوس.

1- الجاحظ : البيان و التبيين .ج1، ص: 108.

2- المصدر نفسه .ج1، ص: 113.

3- المصدر نفسه .ج1، ص: 181-182.

4- المصدر نفسه.ج1، ص: 149.

5-المصدر نفسه .ج1، ص: 149-150.

في مثل هذا المعنى، وصف الشاعر، سهما صاردا نافذا مصيبا فقال:

القى علي مفطوحها مفطوحا غـادر داء ونجا صحيحا[1]

شرح **الجاحظ** البيت بقوله : المفطوح الأول للقوس وهو العريض أي موضع مقبض القوس والمفطوح الثاني، وهو بعد تداولي السهم العريض، يعني أنه ألقى على مقبض القوس سهما عريضا .

وقال الآخر يصف سهم رام أصاب حمار فقال:

*حتى نجا من جوفه وما نجا .[2]

ومعنى هذا أن السهم نجا من جوف الحمار، ولم ينج الحمار من الهلاك.

ووصف الآخر ناقة سريعة مليئة بالنشاط و القوة و البراعة، ولكنها في نشاطها وقوتها تشبه المرأة الخرقاء فقال :

*خرقاء إلا أنها صناع.[3]

-ومن أوجز وأبلغ ما قيل في وصف الذئب:

أطلس يخفي شخصه غُباره في شـدقه شفرته ونــارهُ

هو الخـــبيث عينــه مزاره بهمُ بني محــارب مزداره[4]

الإيجاز هنا وصف الشاعر سرعة الذئب الذي يغطيه الغبار فيخفي شخصه، كما يصف شراسته، بتعيين مطبخة الجاهز الذي بين فكيه، ويصف إحتياله وسرعته إذا إكتشفت زيارته لحيوانات وماشية بني محارب.

-وقال بعض ولد العباس، في فرس أبي الأعور السُلمي :

جاء كلمح البرق جاش ناظره يسبح أولاه و يطفوا آخره.

فما يمس الأرض حافره [5]

وهنا أن الفرس سريع كالبرق جاس بمائه وناضر البرق سحابة يسبح يمد ضبعيه فإذا مدهما علا كفله، وهذا هو البعد التداولي من أجمل ما وصفت به سرعة فرس.

1- الجاحظ : البيان و التبيين.ج1، ص: 150.

2- المصدر نفسه .ج1، ص: 150.

3 - المصدر نفسه، ج1، ص: 150.

4- المصدر نفسه .ج1، ص: 151.

5- المصدر نفسه .ج1، ص: 151.

*ومن زبدة الفكر العربي في الإيجاز و الذوق الرفيع قول الشاعر:

إن سرك الأهون فابدأ بالأشد [1]

وهذا الإيجاز كله يدل على بديهة العربي وجمال لغته وحسن إستعماله للإيجاز وكيف يضع لكل مقام مقالا .

ومن شواهد "**الجاحظ**"في إيجاز الحذف قوله: وكلم رجل من قيس، عمر بن عبد العزيز أمير المؤمنين، في حاجة وجعل يمتُ بقرابة، فقال عمر: فإن ذاك .

ثم ذكر حاجته فقال: لعل ذاك، لم يزده على أن قال: فإن ذاك، ولعل ذلك، أي أن ذلك كما قلت، ولعل حاجتك تقضى .

وقال عبد الله بن قيس:

بكرتُ علي عواذلـــي يلحينني و الـــومهـنه

و يقلن شيب قد عـلا ك وقد كبرت، فقلت أنه[2]

وقال النابغة :

أزف الترحُل غير أن ركابنا لما تزُل برحالنا وكـــــان قـد[3]

وقال الراجز :

حتى إذا كان الظلام يتكشط جاء بمذق هل رأيت الذئب قط[4]

وصفوة القول أن معاينة "**الجاحظ**" للإيجاز، معانة إختصاصي مجرب، أظهر بشواهده الشعرية، الفصاحة و البلاغة العربية وذروة الإيجاز بقسميه، وكان إنتقاؤه للشواهد الشعرية، إنتقاء الصائغ لحليه، لأنه يعرف أسرار المعادن والأحجار الكريمة فطبق المثل في ذلك كما يقال.

فتنبه إلى أن هناك ضربين من الإيجاز: "ضربا يدخل في البيان البليغ، وضربا مخلا بالبيان يفسد العبارة بما يجري فيها من الغموض، من أجل ذلك دعا أصحاب الكلام وخاصة المصنفين، إلى أن يصفوا ويبالغوا في التصفية حتى لا ينطق إلا بلب اللب وباللفظ الذي قد

1- الجاحظ : البيان و التبيين، ج1، ص: 51.

2- المصدر نفسه.ج1، ص: 278-279

3-المصدر نفسه .ج1، ص: 280.

4- المصدر نفسه .ج1، ص: 281.

حذف فصوله واسقط زوائده، فإن من يصنع ذلك ويسرف فيه حري بهان لا يفهم عنه إلا أن يجدد الإفهام مرارا و تكرارا".

1-2-الإطناب:

أ-الإطناب في أصل الوضع اللغوي:هي الطوال من حبال الأخبية، واحدها طنب وإستعيرت للكلام الطويل قال إبن منظور: الإطناب هو البلاغة في المنطق والوصف مدحا كان أم ذما، وأطنب في الكلام : بالغ فيه .[1] وهو عكس الإيجاز.

ب-إصطلاحا: تأدية المعنى بلفظ أزيد منه لفائدة .[2]

ومن **جميل تعاريف البلاغة:** البلاغة هي الإيجاز في غير عجز، والإطناب من غير خطل.[3]

ومن **دواعي الإطناب وأهدافه:** تثبيت المعنى وتوضيح المراد، والتوكيد، ودفع الإبهام، وإثارة الحمية، وغير ذلك .

- فقد فرق "**الجاحظ**" بين الإطالة والإطناب فقال : وقد بقيت - أبقاك الله- أبواب توجب الإطالة وتحوج إلى الإطناب، وليس بإطالة ما لم يجاوز مقدار الحاجة من الكلام ولم يقف عند منتهى البغية. [4]

والإطالة و الإطناب مترادفان ومقابلان للإيجاز عند أبي عثمان، فهما عنده، كل ما جاوز مقدار الحاجة من الكلام ولم يقف عند منتهى البغية .

وقد رأينا الله عز وجل ردد ذكر قصة موسى وهود وهارون وشعيب، وإبراهيم ولوط وعاد وثمود، وكذلك ذكر الجنة والنار وأمور كثيرة لأنه خاطب جميع الأمم العرب وأصناف العجم و أكثرهم غافل أو معاند مشغول الفكر ساهي القلب .[5]

وإما أحاديث القصص والرقة فإني لم أرى أحدا يعيبها ذلك . [6]

1- ابن منظور:لسان العرب.مادة طنب، مج1، ص: 561-562.

2- السيوطي عبد الرحمان:عقود الجمان في علم المعاني و البيان.مط،الشرقية مصر، ص:102.

3- الجاحظ : البيان و التبيين .ج1، ص: 97

4- الجاحظ : الحيوان، تحقيق:عبد السلام هارون، مج6، ص: 7.

5- الجاحظ : المصدر السابق.ج1، ص: 105.

6- المصدر نفسه.ج1، ص: 118

ومن الشواهد التي إستعملها"**الجاحظ**"، في بعض الأحيان، مرادفات الإطناب في إطار واحد لا يخرج عن زيادة المقدار، على حاجة اللفظ و المعنى .

- كقول صفوان الأنصاري في هجاء بشار :

و سميته الغزال في الشعر مطنبا ومولاك عند الظلم قصتهُ مُردي [1]

ويعني بالمطنب هنا، على ما نعتقد، المُكثر، الذي يحسب نفسه بإكثاره مفحما .

وهنا أن معنى القصة : القصعة ترفع فيها الظلامة . والمردي : خشبة يدفع بها الملاح السفينة .

* قال "**الجاحظ**": أن مولاك ملاح، لأن الملاحين إذا تظلموا رفعوا المرادي .

وقال الشاعر:

يرمون بالخطب الطوال و تارة وحي الملاحظ خيفة الرقــباء [2].

هنا يريد بالملاحظ: العيون، قال **الجاحظ** : .....للكلام غاية ولنشاط السامعين نهاية، وما فضل عن قدر الإحتمال ودعا إلى الإستثقال و الملال، فذلك الفاضل هو الهذرُ، وهو الخطل، وهو الإسهاب الذي سمعت الحكماء يعيبونه . [3]

*ومن المكثرين في القول ربيعة الرأي.

قال "**الجاحظ**" :.....فإن قليلا كافيا خير من كثير غير شاف. [4]

–وقال: إن أناسا قالوا لإبن عمر:أادع لنا بدعوات، فقال: اللهم إرحمنا وعافنا وأرزقنا. فقالوا: لو زدتنا يا أبا عبد الرحمان، قال : نعوذ بالله من الإسهاب .

وقال أبو الأسود في ذم الإسهاب و الإطناب :

أمير المؤمنين جزيت خيرا أرحنا من قباع بني المغيرة

بلوناه و لمناه فــاعيـــا علينـــا ما يمر لنا مـريره

علـى أن الفتى نكح أكول ومسهاب مذاهبه كثيـــرة [5]

فالكثرة التي من عيوب اللفظ تؤدي إلى العني . وكثرة الهجاء لا يحبذها "**الجاحظ**".

1- الجاحظ : البيان و التبيين.ج1، ص: 29.

2- المصدر نفسه .ج1، ص: 44.

3- المصدر نفسه .ج1، ص: 99.

4- المصدر نفسه .ج1، ص: 112.

5- المصدر نفسه .ج1، ص: 196.

وقال إبن وابصة، وإسمه سالم، في مقام قام فيه مع ناس من الخطباء :

ياأيها المُتحلي غير شيمته ومن سجيته الإكثار و الملقُ .[1]

وقال أحدهم لإبنه و كان خطيبا :

يا بني إذا قللت من الكلام أكثرت من الصواب، وإذا أكثرت من الكلام أقللت من الصواب.

قال : ياأبة، فإن أكثرتُ و أكثرت"بمعنى كلاما و صوابا".

قال : يابني ما رأيت موعظا أحق بان يكون واعظا منك.[2]

*وإستشهد" **الجاحظ**"بقول الأخطل على الإطناب الذي بمعنى الإكثار :

تنقُبلا شيء شيوخ محـارب وما خلتها كانت تريشُ ولا تبرى

ضفادع في ظلماء الليل تجاوبت فدل عليها صوتها حية البحـر[3]

كان أبو عثمان يدعو متعقلا إلى أوسط الأمور لأنه خيرها، قال: وليكن كلامك مابين المُقصر و الغالي، فإنك تسلم منت المحنة عند العلماء، ومن فتنة الشيطان. قال الشاعر:

عليك بأوسط الأمور فإنها نجاة ولا تركب ذلـولا ولا صعبا [4]

واضح أن "**الجاحظ** " لم يحصر فكرة الإيجاز والإطناب بصيغ الكلام، صنيع البلاغيين المتأخرين بل مد إطنابها، فنظر من خلالها في أساليب الخطباء والكتاب وأساليب المصنفين المترجمين .

وهو يعلم إن أساليب أصحاب الفن الواحد تختلف باختلافهم، فليس أسلوب زهير ومدرسته البيانية كأسلوب من يندفعون في نظم الشعر معتمدين على الطبع وعفو الخاطر [5]

وقد إستنبط"**أبو عثمان**" نظرياته من بصيرته النافذة، ولاحظ أن لكل أديب ناشئا كان أو شاعرا أسلوبه .

1-3-المساواة:

1- الجاحظ : البيان و التبيين.ج1، ص: 233.

2- المصدر نفسه.ج1، ص: 203.

3- المصدر نفسه .ج1، ص: 203.

4- المصدر نفسه.ج1، ص: 255.

5-المصدر نفسه .ج1، ص: 9-13.

أ- **لغة:** ساوى الشيء بالشيء إذا عادله،[1]فالمساواة هي المعادلة، وهي واسطة بين الإيجاز و الإطناب .

يقول العسكري: هي المذهب الوسط الذي يلجا إليه البليغ للتعبير عن خواطره وأفكاره، وهذا المذهب الوسط بين الإيجاز و الإطناب.

ولو حاولنا أن نزيد فيها، ألفاظا على المعاني، لجاءت الزيادة بغير فائدة، أو أردنا إسقاط لفظ لكان ذلك إخلالا بالمعنى ومن هنا كانت الألفاظ مساوية للمعاني.

لم يذكر"**الجاحظ**" لفظة المساواة عند معالجة الإيجاز و الإطناب في "**البيان**" ولكنه تطرق إلى مفهوم جوهرها و أسماه:"إصابة المقدار" و دعا إلى الإعتدال .

قال «الجاحظ":(وإن قيمته كل امرئ ما يحس). وكره (أن يكون مقدار لسانه فاضلا على مقدار علمه أو يكون مقدار علمه فاضلا على مقدار عقله). [2]

– فتلك مساواة، في الجوهر، في الذهن والتفكير .

"وليس يعرف حقائق مقادير المعاني إلا عالم حكيم و معتدل الأخلاط عليم، وإلا القويُ المُنه، الوثيق العقدة، والذي لا يميل مع ما يستميل الجمهور الأعظم، والسواد الأكبر".[3]

نلاحظ إن "**أبا عثمان الجاحظ**" لم يستعمل لفظة المساواة، ولكنه إستعمل لفظة الموازنة والقدر و إصابة المعنى أو إصابة المقدار.

قال طرفة في المقدار وإصابة المقدار :

فسقى ديارك غير مفسدها صوب الربيع وديمةُ تهمى [4]

طلب الغيث على قدر الحاجة، لأن الفاضل ضار، وعلى الجملة، لم يغفل **الجاحظ** معنى المساواة، بل أشار إليه أو لمح من باب التوازن العقلي، فقد أبرز المعنى ولم يسمي المصطلح في "**البيان و التبيين**" .

فاللغة وسيلة للتعبير، والأحرف والألفاظ والكلمات لُبُها، ومن الصعب أن يفصل المرء معناه على قدر ألفاظه .

1- الجاحظ : البيان و التبيين.ج1، ص: 85.

2- المصدر نفسه .ج1، ص:90.

3- المصدر نفسه .ج1، ص: 228.

4- المصدر نفسه .ج1، ص: 228.

والمساواة صناعة صعبة، وقسطاس مستقيم لا يستطيع تحقيقها قصدا إلا من أوتي علما معجزا وليست بمستحيلة .

ورُب قائلٌ: هناك نظم غزير للشعراء صنفه البلاغيون في باب المساواة .

مهما كثر هذا الشعر فهو رمية من غير رام ومصادفة غير مقصودة، وربما أصابها الأديب أو الشاعر، لكن إصابته في معظمها متكلفة ومجهدة، ولصعوبة تحقيقها مال أبو عثمان عنها إلي **البعد التداولي** "**المذهب الوسط**" (في المفهوم اللغوي العربي)، إلى الإعتدال و إصابة المقدار.

1-4-الفصل و الوصل:

الفصل و الوصل من أهم أبواب علم المعاني، وقد عرف البلاغيون الوصل: بأنه عطف الجمل التي لا محل لها من الإعراب بعضها على بعض بالواو خاصة، والفعل ترك ذلك العطف، للبعد التداولي له .

وإستطرد كثير من البلاغيين في هذا الباب فتحدثوا عن العطف بين المفردات، والجمل التي لها محل من الإعراب، كما تعرضوا للعطف بغير الواو، كالفاء وثم وغيرها .

وقد كان حديث "**الجاحظ**" في مسائل هذا الباب جاريا مع هذا التعميم، وإن لم يكن مبسوطا و مسهبا، فقد كان حديثه عن الفصل والوصل في كتابه حديثا مقتضبا إكتفي فيه بالتلميح دون التصريح، وبالتمثيل دون الشرح و الإطالة .

- فالبعد التداولي أنه تعرض للعطف مشيرا إلى أن كل حرف من حروف العطف له موضعه من الكلام حسب مقتضيات الأحوال، فقد يكون الموضع لثم فلا تليق الواو أو العكس، فيروي "أن رجلا من مجاشع قال: قد تركت ذلك لله و لوجوهكم، فقال الحسن: لا تقل هكذا، بل قل: لله ثم لوجوهكم،و آجرك الله "[1]

وواضح من هذه الرواية أنه لا يقصر جمال الوصل على الواو خاصة، بل قد يكون غيرها من حروف العطف أوقع منها، بل أدخل منها في البلاغة، كما نلمس أيضا أنه لا يخص كلامه في الوصل بالجمل التي لا محل لها من الإعراب، بل يعممه ليشمل الجملة و غيرها، فالعطف في كلام الحسن لشبه جملة على شبه جملة.

1- الجاحظ : البيان و التبيين .ج1، ص: 261.

وتعرض "الجاحظ" لصورة من صور الوصل، وهي : كمال الإنقطاع مع الإبهام حيث تختلف الجملتان خبرا وإنشاءا، فكان الوضع يقتضي الفصل ولكن إبهام خلاف المقصود جعل الموضع للوصل، دون الفصل .

وقد أشار إلى ذلك فيما رواه أن "رجلا مر بابي بكر ومعه ثوب، فقال: إتبيع الثوب؟ فقال: لا عافاك الله، فقال أبو بكر رضي الله عنه: لقد علمتم لو كنتم تعلمون، قل: لا وعافاك الله".

فهو يدرك أن الموضع للوصل، حيث المقصود الدعاء له و ليس الفصل حيث يكون دعاء عليه، وقد أدرك أبو بكر هذا، وفطن إلى مقصود القائل، وإن العبارة لم تؤدي هذا المقصود، فوجهه إلي صحة العبارة.

– أما إذا أريد العكس فالموضع للفصل دون الوصل، فيرى "**الجاحظ**" :إن مسلمة إبن عبد الملك قال لنصيب الشاعر: ويحك يا أبا الحجناء، إما تحسن الهجاء ؟ قال: أما تراني أحسن مكان: عفاك الله، لا عفاك الله . [1]

– ومواضع الفصل و الوصل بين الجملة من مسائل التي لا يهتدي إليها إلا من لهم قدم راسخة في البيان و صناعة الكلام، فقد قدم الإمام عبد القاهر الجرجاني حديثه عن الفصل والوصل بقوله: "اعلم أن العلم بما ينبغي أن يصنع في الجمل من عطف بعضها على بعض أو ترك العطف فيها، والمجيء بها منثورة تستأنف واحدة منها بعد أخرى من أسرار البلاغة، وبما لا يأتي لتمام الصواب فيه إلا الإعراب الخلص، وإلا أقوام طبعوا علي البلاغة وأوتوا فنا من المعرفة في ذوق الكلام هم به أفراد، وقد بلغ الأمر في ذلك أنهم جعلوه حدا للبلاغة، فقد جاء عن بعضهم أنه سئل عنها فقال: هي معرفة الفصل من الوصل، ذلك لغموضه، ودقة مسلكه، وأنه لا يكمل لإحراز الفضيلة فيه أحد إلا كمل لسائر معاني البلاغة "[2].

وإذا كان للفصل و الوصل هذه الدرجة من إهتمام البلاغيين فإن **الجاحظ** لم يغفل هذا الإهتمام، بل هو أهم عناصرها ومباحثها، فقد قصر البلاغة عليهما في قوله:"سئل

1- الجاحظ : البيان و التبيين .ج1، ص: 261.

2- الجرجاني عبد القاهر:دلائل الإعجاز. تح: رشيد رضا، دار المعرفة بيروت،1984، ص:154.

الفارسي، مالبلاغة؟ قال: معرفة الفصل من الوصل".[1]وقد ألمح عبد القاهر –في كلامه– إلي هذه الإشارة.

وقد فتحت هذه الإشارة أمام البلاغيين الطريق، ونبهتهم إلى أهمية هذا الباب، وعمق أثره في تأدية المعاني، وفي نظم الكلام على حد سواء، بل إن هذه اللمحات التي ألمح إليها "**الجاحظ**" كانت قبسا لمن جاء بعده، فإهتدى بضوئها و زاد في مسائلها.

1– الجاحظ : المصدر السابق .ج1، ص: 88.

***االمبحث الرابع؛ الأبعاد التداولية في كتاب "البيان والتبيين "للجاحظ:**

1- البديع:

البديع – في لغة العرب– من بدع الشيء بالضم، إذا كان غاية فيما هو فيه من علم أو غيره، حتى صار فيه غريبا لطيفا، ومنه أبدع: أتى بشيء لم يتقدم له مثال ومنه قوله تعالى:"بديعُ السماوات والأرض". **الأنعام، الآية 101**، أي مبدعها على غير مثال سابق.

وقد إصطلح المتأخرون من علماء البلاغة على تسمية هذه الوجوه والألوان "علم البديع" وعرفوه بأنه "علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة ووضوح الدلالة، وقسموا هذه الوجوه إلي محسنات "**معنوية** "، وهي: ما كان التحسين فيها راجعا إلي المعنى أصالة، و" **لفضية** "، وهي: ما كان التحسين فيها راجعا الى اللفظ كذلك، ولا دخل لهذه الوجوه في بلاغة الكلام، فهي من توابعها، فرتبة هذا العلم بعد المعاني والبيان، لأن حسنهما ذاتي، والحسن داخل في مفهوم البلاغة، أما الحسن العرضي فخارج عنها، ومن هنا كان علم البديع من توابع البلاغة، فالنظر فيه فرع النظر فيها، ولذا يؤخر الكلام فيه عن المعاني و البيان .

أما البديع عند "**الجاحظ**" فقد سرد الكثير منها في كتابه وأتى لها من الشواهد والأمثلة ما يشرحها و يوضحها ويجلي عن معناها، وإذا كان قد نسب هذه التسمية إلى الرواة.

فقد سبق أن أوضحنا أن "**الجاحظ**" كان صاحب مذهب في تصنيع الأدب، وفي سبيل هذا التصنيع تكلم في وسائله، فذكر البديع، وذهب إلى أنه مقصور على العرب، ومن أجله فاقت لغتهم كل لغة، وأربت على كل لسان، كما أشاد بأصحاب البديع من الشعراء فالراعي كثير البديع في شعره وبشار حسن البديع، ولم يكن من المولدين أصوب بديعا من بشار وإبن هرمة، والعتابي يذهب شعره في البديع وعلى ألفاظه وحذوه في البديع يقول جميع من يتكلف مثل ذلك من الشعراء المولدين، لنحو ألنمري، ومسلم بن الوليد وأشباههم"[1]

وقد صرح "**الجاحظ**" بأن الرواة تطلق كلمة "**البديع**" على ما تضمن المثل أو ما جرى مجراه، فقد ذكر قول الأشهب بن رميلة :

1- الجاحظ : البيان و التبيين .ج1، ص: 51.

أن الأولى حانت بفلج دماؤهم هم القوم كل القوم يا أم خالد
هم ساعد الدهر الذي يتقي به وما خير كف لا تنوء بساعد
اسود شرى لاقت اسود خفية تساقوا على حرد دماء الأساود

ثم يقول :"قوله، هم ساعد الدهر إنما هو مثل، وهذا الذي تسميه الرواة البديع" .[1]

وإذا كان "**الجاحظ**" قد طاوع الرواة في أن ما يسمى "**بديعا** "، هو ما تضمن المثل أو جرى مجراه، فإن الأبيات التي يوردها إستدلالا وإستشهادا للبديع، والتي يستجيدها لمكانتهما من الأدب تشتمل على نكت بلاغية أخرى، و "**الجاحظ**"، وإن لم يعرض هذه النكت في معارضها الإصطلاحية التي عرضها فيها علماء البلاغة المتأخرون، فقد عرضها في دلالتها اللغوية، وهي دلالة قديمة كثيرا ما ذكرها النقد الأدبي، ووقف أمامها في نشأتها قبل الإشتغال بالبديع.

وقد عالج "**الجاحظ**" في كتابه كثيرا من ألوان البديع وفنونه، وأفاض في سرد الكثير من النصوص والشواهد لهذه الألوان، ونعرض في عدة مباحث – وفي شيء من التفصيل– لذكر هذه الألوان التي نثرها في كتابه، وسوف يتضح لنا من خلال هذه المباحث أنه أحصى كثيرا من هذا اللون و الفن البديعي الذي إشتهر في عصره، أو وجدها في أشعار المتقدمين، مدركا أثرها على جمال الأدب و تزيينه، وإن كان قد حذر من الإفراط فيها أو الإكثار منها .

1-1- السجع:

السجع من المحسنات اللفظية، وهو عند البلاغيين: تواطؤ الفاصلتين "وهما الكلمتان الأخيرتان من الفقرتين، والمراد تواطؤها علي حرف واحد في آخرهما "من النثر على حرف واحد. [2]

وقد أفاض [3]" حديثه عن هذا اللون من المحسنات البديعية فعقد له بابين في كتابه عرض فيهما لطائفة كبيرة من النصوص تدل على إحتفائه بهذا اللون، وقد دفعه إلى هذا الإحتفاء حبه لأصوات الكلام، وما تؤديه من أثر على السامعين، ولا يخفي ما بين السجع والصوت من علاقة، فالسجع داخل في تقطيع الصوت .

1- الجاحظ : البيان و التبيين .ج4، ص: 55.
2- القزويني:الإيضاح .ج4،ص 92 .
3- الجاحظ : المصدر السابق .ج1،ص 284 .

ومن الأمثلة و الشواهد التي تعرض لها "الجاحظ"، مكتفيا بذكر بعضها إستغناء به عن ذكر الكل فمن الأمثلة ما جاء في الحديث المأثور، يقول العبد:"مالي مالي، وإنما لك من مالك ما أكلت فأفنيت، أو أعطيت فأمضيت، أو لبست فأبليت "، ووصف أعرابي رجلا فقال: "صغير القدر، قصير الشبر، ضيق الصدر، لئيم النحر، عظيم الكبر، كثير الفخر". [1]وعن الشعبي قال: "قال عيسى إبن مريم –عليه السلام: البر ثلاثة المنطق والنظر، والصمت، فمن كان منطقه في غير ذلك فقد لغا، ومن كان نظره في غير إعتبار فقد سها ومن كان صمته في غير فكر فقد لها".[2]

ومن الأسجاع قول أيوب بن القربة، وقد كان دعى للكلام إحتبس القول عليه فقال: "قد طال السهر، وسقط القمر، وسقط الشفق، وكثر اللثق فلينطق من نطق".[3]

فكل هذه الأمثلة – وغيرها كثير – تحمل معنى السجع كما حدده البلاغيون بعده، ولم يختلفوا معه في هذا المفهوم الذي أراده لهذا اللون .

*والبلاغيون يقسمون السجع إلى أقسام ثلاثة : "**المطرف**" وهو ما إختلفت فاصلته في الوزن و إتفقت في الحرف الأخير،"و**المرصع**"وهو ما كان فيه ألفاظ إحدى الفقرتين كلها، أو أكثرها مثل ما يقابلها من الفقرة الأخرى وزنا وتقفية، "و**المتوازي**" وهو ما كان الإتفاق فيه في الكلمتين الأخيرتين فقط .[4]

وقد أشار" **الجاحظ** " فيما ساقه من الشواهد والأمثلة إشارة إلى هذه الأقسام، فقد أشار إلى النوع الأول بمجموعة من النصوص منها:

أ–المطرف:

***قولهم:**"لاتغتر بمناصحة الأمير إذا غشك الوزير ".

***وقولهم:** "من صادق الُكتاب أغنوه، ومن عاداهم أفقروه ".

***وقولهم:** "اجعل قول الكذاب ريحا، تكن مستريحا".[5]

1- الجاحظ : البيان و التبيين .ج1،ص: 284 .

2- المصدر نفسه .ج1، ص: 297.

3- المصدر نفسه .ج1، ص: 298 .

4-القزويني:الايضاح .ج4، ص: 92-93 .

5- الجاحظ : المصدر السابق.ج1، ص: 287 .

– فالفواصل في هذه الأمثلة ليست متساوية في الوزن، فهي كقوله تعالى: "مالكُم لا ترجُون لله وقارا وقد خلقكُم أطوارا". **نوح الآية 13.**

ب– المرصع: فقد عرض لكثير من أمثلته –غير ما سبق– مثل :

*ما رواه من قول أعرابي لرجل: "نحن– والله– آكل منكم للمادوم، وأكسب منكم للمعدوم، وأعطى منكم للمحروم.ووصف أعرابي رجلا فقال: أن رفدك لنجيح، وأن خيرك لسريع وأن منعك لمريح. [1]– فإن ما في إحدى الفاصلتين –هنا– من الألفاظ مثل ما يقابله من الأخرى في الوزن و التقفية.

ج–المتوازي:أشار إلى النوع الثالث في كثير من الأمثلة:

*كقول : عبد الملك بن مروان لأعرابي: "ماأطيب الطعام؟فقال: بكرة سنمة، معتبطة غير ضمنة، في قدور رذمة، بشفار خدمة، في غداه شبمة "، معتبطة: منحورة من غير داء يقال: إعتبط الإبل والغنم، إذا ذبحت من غير داء، غير ضمنة: غير مريضة، رذمة : سائلة من إمتلائها، بشفار خدمة، قاطعة، غداة شبمة: باردة والشبم:البرد." [2]

فالتوافق في هذا المثال في فواصله فقط، أما باقي الألفاظ فليست متوافقة في الوزن أو التقفية، فهو كقوله تعالى: "فيها سررٌ مرفوعة وأكواب موضوعة". الغاشية، الآية 13–14.

إذا كان أحسن السجع ما تساوت قرائنه، كما في قوله تعالى :"في سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود".**الواقعة ، الآية :28–29.**

فان الجاحظ أدرك هذا بحسه المرهف و عقله الواعي البصير، فيقول: "ومن الأسجاع الحسنة قول الأعرابية حين خاصمت إبنها إلى عامل الماء، فقالت: أما كان بطني لك وعاء؟ أما كان حجري لك فناء؟ أما كان ثدي لك سقاء، فقال إبنها: لقد أصبتي خطيبة رضي الله عنك". [3]

وتعليق الإبن على كلام أمه يعبر عنإستحسانه لما إشتمل عليه هذا الكلام من السجع، ودليل على روعته، حيث تساوت فواصله .

1- الجاحظ: البيان والتبيين.ج1، ص: 298.

2- المصدر نفسه.ج1، ص: 286-287.

3- المصدر نفسه.ج1، ص: 408.

-وقد أدرك "**الجاحظ**"ما يحدثه السجع من أثر في نفوس السامعين، مما يجيب الكلام المسجوع إلى قلوبهم، ويبقى ماله من طيب الأثر في صدورهم، كما يدرك ما للسجع من أثر في خلود الأدب و بقائه، فيرى أنه "قيل لعبد الصمد بن عيسى الرفاشي: لم تؤثر السجع على المنثور، وتلزم نفسك القوافي، وإقامة الوزن ؟ قال: إن كلامي لو كنت لا آمل فيه إلا سماع الشاهد لقل خلافي عليك، ولكني أريد الغائب والحاضر، والراهن والغابر، فالحفظ إليه أسرع، والآذان لسماعه أنشط، وهو أحق بالتقييد وبقلت التفلت" . [1]

-وإذا كان "**الجاحظ**" قد نوه بجمال هذا اللون البديعي وأثره على النفوس فإنه قد جعل من حسن هذا اللون وبعد أثره قضية نصب نفسه للدفاع عنها ضد من يذمون السجع ويستدلون على ذلك بذم الرسول صلى الله عليه وسلم له، فيما روي أنه قيل: يارسول الله أرايت من لا شرب ولا أكل ولا صاح ولا إستهل، أمثل ذلك يطل؟ فقال صلى الله عليه وسلم: " أَسجعا كسجع الجاهلية." [2]

- ويوضح "**الجاحظ**" أن النهي عن السجع الوارد عن الرسول الكريم ليس لذات السجع وإنما هو نهي عن مسلك الكهان الذين كانوا يتخذون السجع ذريعة لطمس المعنى والألغاز والتعمية على السامعين، ويروي عن عبد الصمد في ذلك قوله: لو أن إبطال حق فتشادق في الكلام ".[3]

ويؤكد ذلك بأن نهي الرسول الكريم عن السجع لو كان لذاته، دون إرتباط بهذه العلة لسار خلفاؤه من بعده على ذمة وإستهجانه، ولكن روي أن "الخطباء كانت تتكلم عند الخلفاء الراشدين، فيكون في تلك الخطب أسجاع كثيرة، فلا ينهونهم، كما كان الفضل بن عيسى الرقاشي الواعظ البصري، واحد رؤوس المعتزلة كان سجاعا في قصصه، وكان عمر بن عبيد، وهشام بن حسان، وأبان بن أبي عباس يأتون مجلسه." [4]

فالسجع المحمود -**عند الجاحظ**-هو ما كان لإقامة الوزن، وحلاوة الصوت وجمال الأداء، أما إذا أريد به إبطال حق أو هتك فضيلة من الفضائل، أو إنتصار لباطل، كما في سجع الكهان، فإن ذلك مذموم مرفوض .

1- الجاحظ : البيان و التبيين .ج1، ص: 287.

2- المصدر نفسه .ج1، ص: 287 .

3- المصدر نفسه.ج1، ص: 287.

4- المصدر نفسه .ج1، ص: 290-291.

ومما تجدر الإشارة إليه إن إحتفاء "**الجاحظ**" بالسجع، وإهتمامه به، وإنتصاره له ليس على إطلاقه بل ذلك الحسن والجمال اللذين هما للسجع يكونان "إذا لم يطل ذلك القول ولم تكن القوافي مطوية مجتلبة، أو ملتمسة متكلفة، وكان ذلك كقول الأعرابي لعامل الماء: حلئت ركابي، وخرقت ثيابي، وضربت صحابي، حلئت ركابي: أي منعت إبلي من الكلأ والماء، والركاب: ما ركب من الإبل، قال: أو سجع أيضا؟ قال الأعرابي: فكيف أقول؟ لأنه لوقال: حلئت ركابه، فكيف يدعوا الركاب إلى غير الركاب، وكذلك قوله: وخرقت ثيابي، وضربت صحابي، لأن الكلام إذا قل وقع وقوعا لا يجوز تغييره، وإذا طال الكلام وجدت في القوافي ما يكون مجتلبا، ومطلوبا مستكرها".[1]

ولعل هذا التنبيه الذي نبه إليه "**الجاحظ**" مرتبط بالقاعدة العامة أوضعناها عنده من قبل، وهي كرهه الشديد لكل ماهو متكلف، وميله وهيامه بالمطبوع من الكلام الذي لاتقع فيه، ولا تشادق.

ويبدوا واضحا – مما سبق– إدراك "**الجاحظ**" التام و إلمامه بجوانب هذا اللون البديعي، حتى عد حديثه عنه البلاغيون بعده.

1-2-الإزدواج:

لا يحسن منثور الكلام ولا يحلو حتى يكون مزدوجا والإزدواج هو أحسن وجوه السجع، فهو من المحسنات اللفظية أيضا، بل هو سجع في سجع، حيث تكون ألفاظ الجزأين المزدوجين مسجوعة.

وقد تنبه"الجاحظ" إلى جمال هذا اللون وعمق أثره في تصنيع الأدب، وعده قسما قائما برأسه، فعقد له بابا مستقلا سماه "باب من مزدوج الكلام" مثل فيه بقوله صلى الله عليه و سلم في معاوية: "اللهم علمه الكتاب والحساب، وقه العذاب، وقال رجل من بني أسد مات لشيخ منا فقال: إصبر يا أبا أمامة، فإنه فرط إفتر طه، وخير قدمته، وذخر أحرزته، فقال مجيبا له: ولد دفنته، وتكل تعجلته، وغيب وعدته، والله لئن لم أجزع من النقص، لا أفرح بالمزيد ".وروي عن الأصمعي قول إبن أفيصر: خير الخيل الذي إذا إستدبرته جنا وإذا إستقبلته أقعى، وإذا إستعرضته إستوي، وإذا مشى ردى، وإذا ردى دحا".[2]

1- الجاحظ : البيان و التبيين .ج1، ص: 288.

2- المصدر نفسه.ج2، ص: 116-117.

ويبدو من مسلك "الجاحظ" أن هذا اللون له من الأهمية –عنده– بحيث إقتضى الأمر أن يعقد له هذا الباب المستقل، وأن كنا نلاحظ أنه فيما عرض له من الأمثلة لم يتخلى عن رأيه في الطبع والتكلم، فالأمثلة التي عرضها في هذا الباب، والتي منها الأمثلة السابقة كبعيدة كل البعد عن التكلف والإستكراه، فهي تسير مع الطبع، ففي هذا اللون إذا أمكن أن يكون كل فاصلتين على حرف واحد، أو ثلاثة أو أربعة، لا يتجاوز ذلك كان أحسن والأمثلة التي عرضها في هذا الباب كلها تشير إلى ذلك.

1-3-السرقات الشعرية:

يذكر البلاغيون موضوع السرقات الشعرية على أنه مما يلحق بعلم البديع، وليس داخلا في فنونه وألوانه. [1]وجريا على نهجهم فإننا نتعرض لهذا الموضوع، بعد أن عرضنا للألوان والمباحث التي هي من صميم المحسنات البديعية و التي نثرها "الجاحظ"في كتابه .

من المعلوم أن القائلين قد يتفقون في الأغراض و المعاني التي يقصدونها في كلامهم، وليس لأحد من طوائف الأدباء و المشتغلين بصناعة الكلام عن تناول المعاني التي طرقها ك2 من تقدمهم، والصب على قوالب من سبقهم، ولكن عليهم إذا أخذوها أن يكسوها ألفاظا من عندهم، و يبرزوها في معارض من تأليفهم و يوردوها في غير حليتها الأولى، ويزيدوها في حسن تأليفهم ويوربوها في غير حليتها الأولى، ويزيدها في حسن تأليفهم، وجودة تركيبها وكمال معرضها فإذا فعلوا ذلك فهم أحق بها ممن سبق إليها، ولو لا إن القائل يؤدي ما سمع لما كان في طاقته إن يقول، وإنما ينطق الطفل بعد إستماعه من البلاغيين .

*أما وجه الدلالة على الغرض فهو أن يذكر الشاعر ما يستدل به على إثبات هذه الصفة له، وذلك بوسائل، منها: التشبيه ومنها ذكر هيئات تدل على الصفة، كوصف الجواد بالتهلل عند ورود العفاة، و الإرتياح إلى رؤيتهم وما إلى ذلك ....

لقد كان أمر هذه السرقات قد عنى به "الجاحظ" وهو من أعلام البلاغة، وقام بالأخذ والسرقة ونجد ذلك في قوله، قال يزيد بن مفرغ "السرقات الظاهرة":

العبد يقرع بالعصا والحر تكفيه الملاحة

*قال أخذه من الفلتان الفهمي ، حيث قال :

العبد يقرع بالعصا والحر تكفيه الإشارة

1- القزويني:الايضاح .ج3، ص: 108.

*وقال مالك بن الريب :

العبد يقرع بالعصـــــــا والحر يكفيه الرعيـــــد

*وقال بشار بن برد:

الحر يلحي والعصا للعبد وليس للملحف مثل الرد

*وقال آخر :

فاحتلت حين صرمتني والمرء يعجز لا المحالـــة

والدهر يلعب بالفتـــى والدهر أروغ من ثعالـــة

والمرء يـكسب مالـــه بالشح يـورثه الكلالـــة

والعبد يقـرع بالعصـــا والحر تكفيه المقالـــــة [1]

– فالمحالة معناها: الحيلة، وثعالة معناها: علم جنس الثعلب .

وواضح من هذه الإشارة إن هذا الأخذ الذي ذكره من السرقة الظاهرة التي سماها المتأخرون "نسخا أو إنتحالا": وهو أن يأخذ المعنى كله مع اللفظ كله من غير تغيير في نظمه، أو مع تغيير من السرقة –على كل حال – مذموم مردود .

* كما أشار إلى السرقات غير الظاهرة": وهي ما كان المأخوذ المعنى وحده والتي سماها المتأخرون "إلماما أو سلخا ".

وقد عرض لهذا النوع فيما ذكره من قول احد الشعراء يهجو بعض الخطباء.

يمان ولا يمون وكان شيخا شديد اللقم هلقاما خطيبا [2]

فهذا الشاعر ذهب إلى قول الأحوص :

ذهب الذين أحبهم فرطـــا وبقيت كالمقمور في خلف [3]

من كل مطوي على حنـق متضجع يكفي ولا يكفـــي [4]

وقال الحسن بن هانيء:

إذا نابه أمر فأما كفيتـــه وأما عليه بالكفى تشيـــــر

1- الجاحظ : البيان و التبيين .ج2، ص: 26-27 .

2- مانه يمونه:كفله وقام برعايته، وشدة اللقم:سرعة الأكل، والهلقام:الواسع الشدقين الكثير الأكل.

3- المقمور:المغلوب في القمار .

4- المتضجع:المتعقد الذي لا يقوم بالأمر.

وقال آخر :

ذريني فلا أعيا بمحال ساحتي أسود فأكفي أو أطيع المسودا

فهؤلاء الشعراء جميعا يدورون حول معنى واحد يتفقون عليه، ولكنهم إختلفوا في آدائه، وفي الألفاظ التي إستخدمها كل منهم، فكانت السرقة هنا خفية .

*ويوضح "الجاحظ"ما في الشعر من السرقة غير الظاهرة، فيقول: "قوله، خطبنا من الخطبة ها هنا و هو في الشعر الأول من الخطبة أيضا".[1]

فهو في هذه اللمحة السريعة أتى على قسمي السرقة، الظاهرة وغير الظاهرة وكانت أمثلته فيهما واضحة كل الوضوح، بحيث أعطت للبلاغيين "**بعد تداولي**" وتصور واضحا لمعنى السرقة، والفرق بين قسميها فزادوا في تفريعاتهم، وأضافوا من عند أنفسهم ما إندرج تحت هذين القسمين من فروع وأنواع مستلهمين هذه التفريعات والأقسام من لمحات "**الجاحظ**" وإشارته، ومما يتصل بالسرقات "**الإقتباس و التلميح**".

أ-الإقتباس:

وهو أن يضمن الكلام شيئا من القرآن أو الحديث، لا على أنه منه وتضمين الكلام بعض آي القرآن الكريم، أو شيئا من حديث الرسول صلى الله عليه و سلم يضفي عليه رونقا و بهاء ، ويزيده حسنا و جمالا .[2]

وقد المح "الجاحظ" إلى هذا النوع ، والى جماله وروعته ، وذلك في قوله :"كانوا يستحسنون أن يكون في الخطب يوم الحفل ، وفي الكلام يوم الجمع آي من القرآن ، فان لك مما يورث الكلام البهاء و الوقار و الرقة ، وسلس الموقع .

قال عمران بن حطان :" إن أول خطبة خطبتها عند زياد أو عند إبن زياد فأعجب بها الناس وشهدها أبي وعمي، ثم إني مررت ببعض المجالس، فسمعت رجلا يقول لبعضهم: هذا الفتى أخطب العرب لو كان في خطبته شيء من القرآن "[3]

فالخطب –عنده– إذا خلت من بعض آيات القرآن الكريم نقص ذلك من قدرها في نظر العقلاء، وقد سبق وأن عرفها دفاع "الجاحظ" عن هذا الفن الأدبي، وتضمين

1- الجاحظ : البيان و التبيين .ج2، ص:184-185.

2- القزويني:الايضاح .ج4، ص: 130 .

3- الجاحظ : المصدر السابق .ج1، ص: 118 .

الخطب آيات من الذكر الحكيم يكسبها بهاء ووقارا ورقة وسلاسة ، وهذا ما فطن إليه ودل عليه .

ب- التلميح:

وهو أن يشار إلى قصة أو شعر أو حديث أو آية أو مثل، أو مسألة علمية، من غير ذكرها .[1] وقد ذكر "الجاحظ" كثيرا من الأمثلة في هذا النوع أو اللون سواء ما فيه إشارة إلى بعض آي القرآن الكريم ا وإلى الشعر، موضحا ما فيه من تلميح، ومصرحا بذكر الملمح به

- فمن الإشارة في الشعر إلى بعض آيات القرآن الكريم ما أنشد بعضهم :

كرهت وكان الخير فيما كرهته وأحببت أمرا كان فيه شبا القتل .[2]

يقول هو مثل قول الله تعالى:"وعسى أن تكرهوا شيء وهو خيرٌ لكُم وعسى أن تُحبُوا شيء وهو شرٌ لكُم". **البقرة ،الآية:216.**

وكان يقال: خذ مقتصد العراق ومجتهد الحجاز .وقال الآخر :

لكل كريم من ألائم قومه على كل حال حاسدون و كشح

الكشح :جمع كاشح ،وهو: العدو الباطن العداوة ، كأنه يطوبها في كشحه، والكشح بالفتح الخصر .

وقال جرير :

إني لآمل منك خيرا عاجلا والنفس مولعة بحب العاجل [3]

وقال تعالى: "قُل ما أسألُكُم عليه من أجر وما أنا من المُتكلمين". **ص، الآية:86.**

ومن الإشارة إلى الشعر ما رواه "أن رجلا من محارب قيس دخل على عبد الله ابن يزيد الهلالي، وهو عامل علي أرمينية،وقد بات في موضع قريب من غدير فيه ضفادع، فقال عبد الله للمحاربي: ما تركتنا أشياخ محارب ننام في هذه الليلة، لشدة أصواتها، فقال المحاربي: أصلح الله الأمير، أنها أضلت برقعا لها، فهي في بغائه.

ثم يقول "الجاحظ" موضحا ما في النص من تلميح إلى الشعر، أراد هلال قول الأخطل :

تنق بلا شيء شيوخ محـارب وما خلتها كانت تربش ولا تبرى

1- القزويني:الايضاح .ج4، ص: 142 .

2- الشبا،جمع شباه وهو:حد الشيء أو حد طرفه ومنه شباة الشيف .

3-الجاحظ : البيان والتبيين .ج3، ص: 260-261 .

ضفادع في ظلماء ليل تجاوبت فدل عليها صوتها حية البحـر

وأراد المحاربي قول الشاعر :

لكل هلالي من اللـــــؤم برقع ولا إبن هلال برقع وقميـــص [1]

وغير ذلك الكثير من الأمثلة التي عرض لها "**الجاحظ**" بفهم و وعي كاملين لهذا الفن، وما يحدثه في الكلام من روعة وجمال، مما جعله يهتم به هذا الإهتمام ويسوق له الأمثلة الكثيرة .

1-4- براعة الإستهلال:

وهذا النوع- أيضا- مما يلحق البديع، وقد ذكر البلاغيون إن "**المتكلم**" ينبغي أن يتألف في ثلاث مواضع من كلامه، حتى تكون أعذب لفظا وأحسن سبكا واصح "**معنى**" واهم هذه المواضع وأولها بالعناية و الرعاية،"**ابتداء الكلام**" فإنه أول ما يقرع "**السمع**" فإن كان حسنا وجيها أقبل "**السامع**" على الكلام فوعاه، وأن كان بخلاف ذلك أعرض عنه .

وقد تعرض "الجاحظ" إلى هذا النوع في تعليقه على تفسير إبن المقفع للبلاغة والذي صرح بأنه لم يفسر البلاغة أحد قط مثل هذا التفسير، فقد قال إبن المقفع في تفسيره :" ليكن في صدر كلامك دليل على حاجتك، كما إن خير أبيات الشعر البيت الذي إذا سمعت صدره عرفت قافيته"[2] ثم يقول "الجاحظ" موضحا و شارحا وملفتا يقول: "فرق بين صدر خطبة النكاح وبين صدر خطبة العيد وخطبة الصلح وخطبة التأهب حتى يكون لكل فن من ذلك صدر يدل على عجزه فإنه لا خير في كلام لا يدل على معناك، ولا يشير إلى مغزاك، إلى العمود الذي قصدت والغرض الذي إليه نزعت " .[3]

"فالجاحظ" يدرك بذوق سليم وعقل واع أن الإبتداءات دلائل البيان، وأن الأديب إذا بدا كلامه بما يتطير منه، أو بما لا يتناسب مع غرضه وموضعه فإن ذلك يدعوا إلى نفور السامعين و إنصرافهم عن أدبه، إما إذا كان الإبتداء حسنا بديعا، ومليحا رشيقا كان داعية إلى الإستماع لما يجيء به بعد من الكلام .

1- الجاحظ: البيان والتبيين. ج2، ص: 182.

2- المصدر نفسه.ج1، ص: 116.

3- المصدر نفسه.ج1، ص: 116.

هذا ما عرض له "الجاحظ" من ألوان البديع وما يتصل به وهو كما رأينا يعرض لهذه الألوان في أسلوب واضح وإن لفه بعض الإجمال و سيطر عليه عدم النظام، إلا انه يظهر بوضوح مدى عمقه و دقة ذوقه في فهم هذه الألوان و صلتها بصناعة الكلام وخلود الأدب، مما يجعلنا نجزم أنه لم يعرض هذه المحسنات إلا لكونها وسائل لتصنيع الأدب، وهو مذهبه الذي نادي به، ودعا إليه كوسيلة لخلود الأدب وبقاء أثره كما سبق أن أوضحنا ذلك .

خـــاتمـــــة

الخـاتمــة:

في خاتمة هذا البحث يمكن إدراج أهم النتائج المتوصل إليها منها ما يتعلق بالنظري ومنها ما يتعلق بالتطبيقي، أما من ناحية النظري فقد توصلنا لأهم النتائج التي تتعلق بالتداولية من جهة وعلاقتها بالبلاغة العربية ومن أهم النتائج ما يلي:

– التداولية هي مصب إهتمام كثير من العلوم الإنسانية التي تتخذ من الإنسان مادة لها ومحورا، إذ تهتم بفكره اللغوي كعلم الإجتماع والفلسفة وعلم النفس واللسانيات وغيرها.

– التداولية تبحث في الدلالات التي تفيد اللغة في الإستعمال.

– التداولية علم يصنع بدراسة اللغة الإنسانية في الإستعمال.

– تسعى التداولية إلى الكشف عن المقدرة الإنجازية التي تحققها العبارة اللغوية.

* أما من ناحية البلاغة فأهم النتائج المتوصل إليها ما يلي:

– إن علم البلاغة يحمل في طياته بذور التداولية، وأن أهدافها تداولية.

– كل من علم البلاغة العربية والتداولية يعتمدان على طرفي الخطاب "**المتكلم والسامع**".

– البلاغة عبارة عن عملية إتصالية بين متكلم يسعى إلى إيصال رسالة لغوية ذات طابع خاص عبر قناة إتصالية معينة إلى سامع معين في مقام معين، محاولا إقناع هذا الأخير والتأثير في معتقداته وسلوكه.

– البلاغة تهتم بطرفي الخطاب "**المتكلم**"و"**السامع**" وأهم شروطها أن يكون الكلام موافقا للمقام أو ما يسمى "**بموافقة الكلام لمقتضى الحال**"؛ وهو حال ومقام كل من المتكلم والسامع وكذا مراعاة مرتبة "**السامع**".

* أما ما يتعلق بالتطبيقي فأهم النتائج التي توصلنا إليها ما يلي:

– إن الأبعاد التداولية للبلاغة العربية من خلال كتاب البيان والتبيين، تبين لنا أن الجاحظ قد إهتم بكل من طرفي التواصل: المتكلم والسامع، بالإضافة إلى الإهتمام بالمقام، لتحقيق التأثير في السامع وإقناعه، وإنجاح العملية الإتصالية بين طرفي الخطاب، وهذا يثبت البعد التداولي للبلاغة في كتاب" **البيان والتبيين**".

– إن ظاهرة الأفعال الكلامية التي إعتمدها الجاحظ تندرج ضمن الظاهرة الأسلوبية المعنوية ب:"**الخبر والإنشاء**"، وبذلك يمكننا إعتبار نظرية الخبر والإنشاء عند العرب من الجانب المعرفي العام مكافئة لـ:مفهوم الأفعال الكلامية.

– الخبر عند "الجاحظ" يوصف "**بالصادق**"؛ وهو ما يكون مطابقا للواقع، مع اعتقاد صاحبه أنه مطابق، ويوصف "**بالكاذب**" إذا كان غير مطابق للواقع مع اعتقاد صاحبه أنه غير مطابق.

– إن معيار "**الجاحظ**" –إعتقاد المتكلم وقصده– يشبه أو يقارب معيار سيرل، وهو "**شرط الصراحة**" الذي صنف به "**الأفعال المتضمنة في القول**".

وفي الأخير نخلص إلى نتيجة عامة لهذا البحث، هي أن التداولية ليست علم يخص الغربيين فقط بل هو علم حاضر كذلك في تراثنا البلاغي العربي، غير أنها لم تظهر كمنهج خاص له قواعده وتصنيفاته إلا من قبل المحاولات الغربية، فيمكن إعطاء البلاغة العربية بعدا تداوليا يساعدنا على توسيع رؤيتنا إلى هذا التراث الضخم، وفهم النظريات الغربية، في لغتنا.

الفهـــرس

الفهرس:

الشكر

الإهداء

مقدمة ..... أ

الفصل الأول:

***المبحث الأول:** التداولية

1-ماهية التداولية.....2

2-نشأة التداولية.....6

3-أسباب ظهور التداولية.....6

4-مفهوم التداولية.....10

***المبحث الثاني:**قضايا التداولية

1- من قضايا اللسانيات التداولية..... 16

أ-فكرة أفعال الكلام عند أوستين.....17

ب-أفعال الكلام عند سيرل.....19

ج-نظرية المحادثة عند جرايس(قواعد الفعل الكلامي).....19

د-الأفعال الكلامية عند العرب(مقاييس التمييز بين الخبر والإنشاء).....24

هـ-الحجاج عند(بيرلمان وتيتكا).....31

و-التفاعل والسياق.....32

ي-الملفوظية.....34

2-مهام التداولية.....35

3-روافد التداولية.....36

4-علاقة التداولية بالإختصاصات الأخرى.....39

*المبحث الثالث:البلاغة

1-مفهوم البلاغة.....42

2-أهمية دراسة البلاغة.....42

3-إسهامات الجاحظ للبلاغة.....44

4-البلاغة في الثقافة العربية.....45

الفصل الثاني: تطبيقي – دراسة الأبعاد التداولية في كتاب البيان والتبيين-

*المبحث الأول:الأفعال الكلامية عند الجاحظ

1- الاستفهام.....54

2- النداء.....57

3- صور تخريج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر.....57

4 - النظم.....60

5- اللفظ والمعنى.....64

6- الحجاج.....69

*المبحث الثاني: الأبعاد التداولية لعلم البيان

1- التشبيه.....78

2- الاستعارة.....82

3- الكناية.....86

4- المجاز.....86

*المبحث الثالث:الأبعاد التداولية لعلم المعاني

1- الإيجاز.....91

2- الإطناب.....95

3- المساواة.....98

5-الفصل والوصل.....99

*المبحث الرابع:الأبعاد التداولية لعلم البديع

1- السجع.....103

4- الازدواج.....107

5- السرقات الشعرية.....108

6- الاقتباس والتلميح.....110

- خاتمة.....115

- الفهرس.....117

- قائمة المصادر والمراجع.....122

- الملخص.....128

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر و المراجع

***قائمة المصادر والمراجع:**

القرآن الكريم. رواية ورش عن نافع المدني.

المصادر:

1-التفتازاني سعد الدين :المطول في شرح تلخيص المفتاح للخطيب القزويني، ترتيب وتعليق عبد المتعال الصعيدي، منشورات دار الحكمة، دط.

2-الجاحظ أبي عثمان بن عمر و بن بحر، الحيوان، تحقيق عبد السلام هارون، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى بابي الحلبي وأولاده، مصر،ج3، ط1966،2.

3- الجاحظ أبي عثمان بن عمر وبن بحر، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ج1، ج2، ج3، ج4، 1998.

4-الجرجاني عبد القاهر : دلائل الإعجاز، تحقيق: رشيد رضا، دار المعرفة بيروت، 1984.م

5 -ابن خلدون: المقدمة.ج2، الدار التونسية للنشر والتوزيع، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، دط،1984.

6-الزمخشري أبو القاسم جاز الله محمود، أساس البلاغة، تحقيق:عبد الرحيم محمود، دار المعرفة، للطباعة والنشر، بيروت، 1982.

7-السكاكي: مفتاح العلوم. تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط1.

8- المعري النبوي احمد بن محمد بن علي:المصباح المنير، المكتبة العلمية، بيروت، ج1.

المعاجم و القواميس :

9- ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط عبد السلام هارون، دار الجبل، ط2، 1991

10- ابن منظور" لسان العرب".ضبط و نصه و علق حواشيه د. خالد رشيد القاضي . دار صبح و إديسوفت. بيروت – لبنان. 2006 .ط1.ج11.

11- ابن منظور : لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط1، جزء1994،11م.

.2000

12- الفيروز أبادي محمد بن يعقوب: القاموس المحيط، تحقيق: يوسف محمد البقاعي دار الفكر، بيروت،1995.

المراجع:

***العربية:**

13- أحمد المتوكل: اللسانيات الوظيفية. مدخل نظري، الرباط، منشورات عكاظ، دت، 1989.

14- أحمد المتوكل: الوظيفة بين الكلية والنمطية. دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط، المغرب،

15- أحمد نحلة محمود: الاتجاه التداولي في البحث المعاصر، في اللغة والأدب، إعداد وتقويم محمد مصطفى أبو شوارب وآخرون، دار الوفاء لدنيا النشر، الإسكندرية، ط1، 2004.

16- الإستراباذي رضي الدين: شرح الكافية في النحو. تحقيق: رحاب عكاوي، بيروت، دار الفكر العربي،2000.

17- ابن الاثير ضياء الدين: المثل السائر. تحقيق: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار النهضة، مصر للطباعة والنشر-القاهرة، دت،ج1.

18- بوقرة نعمان: اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، علم الكتب الحديثة، ط1، 2009.

19- حافظ إسماعيل علوي: التداولية (علم استعمال اللغة) عالم الكتب الحديث، أربد، الأردن، ط1، 2011.

20- الحباشة صابر: مغامرة المعنى من النحو إلى التداولية.صفحات للدراسة والنشر، ط1، 2011.

21- حمدوش وائل: التداولية دراسة في المنهج ومحاولة في التصنيف.

22- دلاش الجيلالي: مدخل إلى اللسانيات التداولية، ترجمة: محمد يحياش، الجزائر، 1992.

23- صولة عبد الله: الحجاج في القرآن الكريم. من أهم خصائص الأسلوبية، جامعة منوبة تونس، ج1، 2001.

24- طه عبد الرحمان: تحديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي، المغرب، 1993.

25- طه عبد الرحمان: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط2، 2000.

26- ابن ظافر الشهري عبد الهادي: إستراتيجية الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بن غازي، ليبيا، ط1، 2003.

27- علي جازم ومصطفى أمين: البلاغة الواضحة، البيان المعاني البديع، دار المعارف، دط.

28- فضل حسن عباس: البلاغة فنونها وأفنانها. دار الفرقان للنشر والتوزيع، الأردن، ط4، 1997.

29- فضل صلاح : البلاغة في الخطاب، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، مكتبة لبنان، ط1، 1996.

30- فهمي زيدان محمود: في فلسفة اللغة، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، دط.

31- القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط4.

32- قليقلة عبد العزيز: البلاغة الاصطلاحية، دار الفكر الغربي، القاهرة، مصر، ط3، 1992.

33- محمد بن علي الجرجاني : الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة.

34- محمد سالم صالح: أصول النظرية السياقية عند علماء العربية، ودور هذه النظرية في التوصل إلى المعنى.

35- مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب(دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي)، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 2003.

36- ابن معتز: التفكير البلاغي عند العرب، أسسه وتطوره إلى القرن السادس، منشورات الجامعة التونسية، 1981.

37- معمري محمد: في بلاغة الخطاب الإقناعي، مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية، إفريقيا الشرق، بيروت- لبنان، ط2، 2002.

38- نواري سعودي ابو زيد: في تداولية الخطاب الأدبي (المبادئ والإجراء)، بيت الحكمة للنشر، ط1، 2009.

39- سيوطي: عقود الجمان في علم المعاني و البيان، مطبعة الشرقية، مصر.ط2003،1.

***المترجمة:**

40- آن روبول جان موشلار: التداولية اليم علم جديد في التواصل، ترجمة سيف الدين دغفوس، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 2003.

41- فان ديك: علم النص. مدخل متداخل الاختصاصات، ترجمة وتعليق: محمد سعيد البحري، القاهرة، جمهورية مصر العربية، ط1، 2001.

42- فرانسواز أرمينكو: المقاربة التداولية، ترجمة سعيد عليوش، مركز الانتماء القومي، الرباط، 1986.

44- فليب بلاشيه: التداولية من أوستين الى غوفمان، ترجمة صابر الحباشة، دار الحوار، ط،20071

*** مقالات رسائل ومحاضرات:**

45- أيوبي ياسين: من محاضرات في كلية الآداب، الفرع الثالث، قسم دبلوم الدراسات العليا، طرابلس86/02/27.

46- بن عيسى عبد الحليم: المرجعية في نظم التداولية، جامعة وهران.

47- حفناوي يعلى: التداولية البراغماتية الجديدة خطاب ما بعد الحداثة.مجلة اللغة والأدب يصدرها معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر، العدد11، جانفي2008 .

48- حمادي صمود: التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس، منشورات الجامعة التونسية،1981 .

49- دراسات أدبية محكمة: دورية فصيلة تصدر عن مركز البصيرة.دار الخلدونية للنشر والتوزيع.

50- راضية خفيف بوبكري: التداولية وتحليل الخطاب الأدبي (مقاربة نظرية) مجلة الموقف الأدبي، العدد 399، ط1، تموز، 2004.

51- قويدر ثنان: التداولية في الفكر الأنجلوسوكسوني المنشأ الفلسفي والمال اللساني. مجلة اللغة والآداب، أكاديمية محكمة يصدرها معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر، العدد17، 2006.

52- محمد سالم ولد محمد الأمين: مفهوم الحجاج عند (بريلمان) مجلة عالم الفكر، دولة الكويت، مجموعة28.

53- موسى جمال: تجليات مفاهيم التداولية في التراث العربي، رسالة ماجستير،2009 .

54- نابي نسيمة: مناهج البحث اللغوي عند العربفي ضوء نظريات اللسانية. مذكرة لنيل شهادة الماجستير، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، السنة الجامعية:2010-2011.

الملخص

الملخص:

التداولية علم جديد للتواصل الإنساني، يدرس الظواهر اللغوية في الإستعمال، ومن هنا جاءت تسميتها بعلم الإستعمال اللغوي، الذي يدرس علاقة النشاط اللغوي بمستعمليه، وطرق وكيفيات إستخدام العلاقة اللغوية ضمن سياقات ومقامات مختلفة، كما تبحث عن العوامل التي تجعل من الخطاب رسالة واضحة وناجحة.

وتأتي هذه الدراسة لإثبات الأبعاد والجوانب التداولية في البلاغة العربية القديمة، وهذا هو الهدف الرئيس في هذا البحث، وذلك في محاولة لتقريب هذا المنهج الغربي الحديث من موروثنا العربي القديم، وإستثمار ما في هذا المنهج التداولي لإعادة قراءة هذا التراث قراءة حداثية، في محاولة قد تساعد على سد الفجوة بين التراث العربي القديم والمناهج الغربية الحديثة.

***الكلمات المفتاحية:** التداولية، البلاغة العربية القديمة، التراث العربي، المناهج الغربية، قراءة حداثية.

Résumé :

La pragmatique est une novelle science pour la communication humaine , elle étudie les phénomènes linguistique , c’est-à-dire la science de l’utilisation linguistique qui prospecte la relation entre l’activité linguistique et leur utilisateurs ,aussi les méthodes et les manières de l’utilisation des signes linguistique dans des contestes différents

Elle encore prospecte les facteurs qui rendre le discours comme un message clair et prospère.

On trouve que cette étude est amenée pour affirmer les aspect pragmatiques dans l'ancienne rhétorique arabique est

l'objectif principal cet exposé ,dont l'essai d'approcher cet méthode occidental et moderne à notre ancien arabe patrimoine une lecture moderne dont l'assistance de **cohnater** le décalage entre l'ancien arabe patrimoine et les méthode occidental modernes.

***Les mots clés :** linguistique ,la pragmatique ,l'ancienne rhétorique arabe les méthode occidental modernes.